منصب الخلافة

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد

رضي الله عنه

منصب الخلافة

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

منصب الخلافة

خطاب مهم

لسيدنا مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه

الخليفة الثاني للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ألقاه أمام ممثلي فروع الجماعة في جميع أنحاء الهند

في أول مجلس شورى عُقد بعد تقلُّده منصب الخلافة

في ١٢ أبريل/نيسان ١٩١٤م

بقاديان الهند

ترجمة: محمد أحمد نعيم

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتاب: منصب الخلافة

الطبعة الأولى: ١٤٣٢ هـ /٢٠١١م

Manṣibul-Khilāfah

(Arabic)

By: Ḥaḍrat Mirzā Bashīrud-Dīn Mahmūd Aḥmad (May Allah be pleased with him).

Translated from Urdu to Arabic: Muhammad Ahmad Naeem

First Published in UK in 2011 by:
Al-Shirkatul Islamiyyah Limited
Islamabad
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Tilford

ISBN: 978-1-84880-420-3

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

مقدمة الناشر	أ
الغرض من بعثة الأنبياء	١
ما هي مهمّات الخلفاء	٢
شُكر الله على الجماعة الصادقة	٢
لا خلافة إلا بالمشورة	٥
مهمات الأنبياء أو الخلفاء	٥
المهمة الأولى	٥
المهمة الثانية	٦
المهمة الثالثة	٧
المهمة الرابعة	٨
غاية هذا الاجتماع	١٨
ثماني مهمات لا أربع	١٩
وصية الخليفة الأول تتضمن المهمات الأربع	٢٣
مهمة الدعوة والتبليغ	٢٥
ضرورة دُعاةٍ بكل لغة	٢٧
الدعوة في الهند	٢٩
التبليغ بنشر الإعلانات في الجرائد	٣٤
من أين يتوافر الدعاة؟	٣٦
تعيين الوعّاظ	٣٩

قصة قوم لوط	٤٠
تعليم الشريعة والأحكام	٤٢
كتاب تعليم العقائد	٤٦
سنّة النبي ﷺ في الوعظ	٤٧
طموحي	٤٩
تزكية النفوس	٥٠
التطوير العلمي	٥٥
التقدم المادي للجماعة	٥٦
ثمة حاجة للعمل	٥٧
غاية القول	٥٨
الحاجة لإقامة الكلية	٥٨
نقاش الأنجمن والخليفة	٥٩
ما قيمة الشورى إذا لم تقبل؟	٦٦
مسألة الشرك	٦٨
دحض اعتراض آخر	٧٠
أمر عجيب	٧١
أيُّ خدمة أدّاها؟	٧١
آية الاستخلاف	٧٢
العوائق في تسيير النظام في الوضع الراهن	٧٥

❀ ❀ ❀ ❀ ❀

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الناشر

هذا الكتيِّب هو خطاب ألقاه حضرة الخليفة الثاني رضي الله عنه بُعيد تسلُّمه منصب الخلافة في عام ١٩١٤، وذلك بعد أن استنكف عن بيعته مجموعة على رأسهم أفراد من الهيئة الإدارية للجماعة المسماة "صدر أنجمن أحمدية"، حيث ادَّعوا بأن هذه الهيئة هي الخليفة الفعلي الذي أوصى به حضرة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام. ومع أنهم كانوا قد بايعوا الخليفة الأول سيدنا نور الدين القرشي رضي الله عنه، إلا أنهم منذ زمنه كانوا ينازعونه ويثيرون جدلاً حول صلاحيات الخليفة وواجباته، وقد بلغ بهم الأمر أن قالوا إن واجبات الخليفة يجب ألا تتعدى أخذ البيعة من المبايعين الجدد وإمامة الناس في الصلاة وعقد القِران، أما اتخاذ القرارات والأمور الإدارية والمالية فليست من واجباته وصلاحياته، بل هي صلاحيات "الأنجمن" التي هي فوق الخليفة.

واتخذت فتنتهم بُعدا أكثر خطورةً عند وفاة الخليفة الأول رضي الله عنه حيث حاولوا إلغاء الخلافة أصلاً، ورفضوا بيعة الخليفة الثاني رضي الله عنه الذي

انتخبه معظم أبناء الجماعة، واتخذوا لهم مقرًا في لاهور تحت رئاسة المولوي محمد علي المحترم. وبما أن الخلافة هي فرع للنبوة، فقد اضطروا فيما بعد إلى إنكار نبوة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام! ثم دفعتهم المناكفة إلى إثارة بعض المواضيع وافتعالها، استرضاءً للمسلمين غير الأحمديين واكتساب تعاطفهم.

وفي هذا الخطاب قد فنَّد حضرته ادعاءهم بأن "الأنجمن" هي الخليفة؛ ثمَّ أكد رضي الله عنه على أحقية نظام الخلافة، وبيَّن أن واجبات الخليفة هي واجبات النبيّ؛ وهذا أمر طبيعي لأنه يخلفه في عمله وواجباته. وهذه الواجبات قد حددها الله تعالى في الكريمة ﴿ربنا وابْعَثْ فيهم رَسولًا منهم يَتلوا عليهم آياتِكَ ويُعَلِّمُهِمُ الْكِتابَ والْحِكْمَةَ ويُزَكِّيهِمْ إنَّكَ أنتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٣٠). وأنْ لا حق لأحد في تحديد هذه الواجبات والصلاحيات.

وقد توسع حضرته في شرح هذه الواجبات، مبينًا أهميتها في النهوض بالإسلام ونشره والدفاع عنه، ودورها في الحفاظ على الإيمان والنهوض بالمؤمنين وقيادتهم نحو الهدى والازدهار؛ محققين الغاية من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ومتابعين لرسالة خادمه ومحبِّه الصادق المسيح الموعود عليه السلام، مؤكدا أنها بطبيعتها ليست مما تقدر عليه لجنةٌ أو هيئة.

وكان هذا الخطاب أصلاً بمناسبة دعوة الجماعة للشورى، فبيّن حضرتُه طبيعة نظام الشورى في الإسلام وأهميته وارتباطه الوثيق بالنبوة والخلافة. وفنّد اعتراض البعض على هذا النظام؛ كون الخليفة غير ملزم برأي الأغلبية. كما بيَّن حضرتُه فوائد هذا النظام للخليفة الذي تساعده الشورى في اتخاذ القرار الأنسب نظرًا لاطِّلاعه على عدد من الآراء من جوانب مختلفة باختلاف الأفراد وتجاربهم ورؤاهم، وبيّن أهميته بالنسبة لأفراد الجماعة وتربيتهم؛ حيث تشجعهم الشورى على التفكير في الشؤون العامة فيتطور فكرهم، كما تُدرِّبهم على إسداء الرأي بصورة ملائمة وتعوِّدهم على التنازل عن آرائهم وعدم التشدد لها. وقد طرح حضرته في هذا الخطاب عددًا من الخطط والأفكار طالبا المشورة حولها.

ورغم صعوبة الظروف وخطورتها، فقد وفق الله تعالى حضرته للصمود العجيب كالطود الشامخ مدافعا عن مقام الخلافة العظيم. فبدَّل خوف الجماعة أمنًا، ثم فتح الله تعالى على يده فتوحات عظيمة، وحقق إنجازات عظيمة للإسلام على مدى سنيِّ خلافته التاريخية التي امتدت لما يقارب ٥٢ عاما، تضاءلت خلالها أيضا فئة غير المبايعين وتشتتت. ثم استمرت الخلافة الراشدة من بعده يواكبها

التأييد الإلهي والنصرة. وبهذا قد أبطل الله تعالى هذه الفتنة عمليـــا، بعد تفنيدها نظريا بالحجج القاطعة.

إن هذا الخطاب يُعَدُّ مرجعا هاما لفهم منصب الخلافة في الإسلام وواجباته ودوره العظيم. نسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل تحت ظل الخلافة الراشدة باستمرار، وأن يمتّعنا ببركاتها، ويجمع الـــدنيا مـــن خلالها عند أقدام النبي ﷺ، إنه قريب مجيب. آمين.

ولقد نال شرف تعريب هذا الكتاب الداعيةُ محمد أحمد نعيم، فجزاه الله أحسن الجزاء. كما نشكر الأساتذة الأفاضل التالية أسماؤهم لمساهمتهم في إخراج هذا السِّفْر المبارك وهم: خالد عزام، تميم أبو دقة، هاني طاهر، عبد المجيد عامر، محمد طاهر نديم وعبد المؤمن طاهر.

نسأل الله تعالى أن يجعله نافعًا لخلقه وأن يجعلهم متمسكين بالخلافة وأن يجنّبهم الفتنَ ما صَغُر منها وما كَبُر. آمين.

الناشر

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،

أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة ١٣٠)

لقد ذكر الله تعالى في هذه الآية نبوءةً تتعلق ببعثة رسول الله ﷺ وقد وردت في دعاء إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة حيث قال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

الغرض من بعثة الأنبياء

إنه لدعاءٌ شامل. لقد دعا فيه إبراهيم عليه السلام ربَّه سبحانه وتعالى أن يبعَثَ في ذريته نبيًّا، كما بيّن فيه مهمات الأنبياء والغاية من بعثتهم. فقال: يا إلهي، ابعثْ هذا الرسول في ذريتي. ثم بيّن ماذا سيعمل؛ فقال:

أولا: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾

وثانيًا: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾

وثالثًا: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾

ورابعًا: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ .

فهي أربع مهمّات. لقد تدبرتُ في هذا الدعاء فوجدتُ أنه ما من عمل يتعلق بإصلاح العالم إلا شمله هذا الدعاء. إذًا، فإن مهمة الإصلاح التي قام بها النبي ﷺ تشمل الإصلاحَ بكل أنواعه.

ما هي مهمّات الخلفاء

بالتأمل في أهداف الأنبياء – عليهم السلام– ندرك بسهولة بأن مهامّ الخلفاء هي مهامّ الأنبياء نفسُها، لأن مهمة الخليفة أن يتابع أعمالَ سلَفِه، فمهمّةُ النبي هي مهمة الخليفة في الواقع. فالتدبر في هذه الآية يكشف لكم مهمات النبي من ناحية وأعمال الخليفة من ناحية أخرى.

لقد دعوت الله أن يرشدني إلى ما أقوله بهذه المناسبة، فلفتَ الله انتباهي إلى هذه الآية، فوجدتُ فيها جميع الأمور التي تلقي الضوء على أهدافي وغاياتي. فقررت أن أقدم لكم بعض استنتاجاتي.

شُكر الله على الجماعة الصادقة

وقبل ذلك أود أن أشكر الله على أنه أنشأ في هذا العصر جماعةً قد قطع الله سبحانه وتعالى وعْدا مع أنبيائه بإعطائها إياهم دوما. أرى أن أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية قد توافدوا إلى هنا من كل طرف

وصوب باذلين أموالهم وأوقاتهم في سبيل عزة الإسلام فقط، وإني أعلم وأوقن بأن الله تعالى لن يُضيع جهود مثل هؤلاء المخلصين، وسوف يجزيهم خير الجزاء إذ جاءوا بحسب وعده الذي قطعه مع المسيح الموعود عليه السلام. فحين رأيت هؤلاء الأحبة بالأمسِ أثناء درس القرآن الذي ألقيته فاضَ قلبي حمدًا وشكرًا لله ربِّنا لأنهم قد احتشدوا هنا حبًّا لذلك الإنسان الذي يقال عنه إنه - والعياذ بالله- مخادع ومحتال. ثم هاجت نفسي أكثرَ حين رأيتُهم قد اجتمعوا هنا ملبين دعوة أصحابي. فدعوت الله ليلة الأمس كثيرا، وقلت: يا إلهي؛ إنني إنسان فقير، فماذا عساي أن أعطيهم؟ فافتح أنت، يا إلهي، أبواب كنوزك وارزقْ هؤلاء - الذين لم يجتمعوا هنا إلا من أجل دينك - من فضلك حظًّا وفيرا. وإني على يقين بأن الله سيستجيب هذه الأدعية، إذ لا أتذكر أبدًا أني دعوت دعاءً بألم واضطراب ولم يستجب اللهُ لي. حين يصرخ الطفل الرضيع ألمًا يدرّ اللبن في ثدي أمه، فإذا كان ثدي الأم يفيض لبنًا لصرخة ولدها الرضيع رغم العلاقة الضئيلة والمؤقتة بينهما، فمن المستحيل أن يردّ الله دعاءَ عبد من عباده يدعوه بألم واضطراب. إنني أؤكد لكم أن مثل هذا الدعاء مستجاب لا محالة. وهذه المعاملة الإلهية لا تخصني أنا وحدي، بل هكذا يعامل الله الناس جميعا، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي

عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧). فلم يقلِ الله تعالى هنا: أُجيبُ دعوةَ المسلم فحسب، أو أجيب دعوة داعٍ من بلد معيَّن أو من شعبٍ معيَّنٍ، بل قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾، أيًّا كان وحيثما كان.

أما السؤال: ما هو الهدف من استجابة الدعاء؟ فأجاب الله عليه بقوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾.. أي أن الهدف من ذلك أن يوفَّق الداعي للإيمان إذا كان كافرا، أو يزداد إيمانًا إذا كان مسلما ومؤمنًا سابقا؛ مما يعني أنني أُجيبُ دعوةَ الكافر لِيؤمنَ بي، وأجيب دعوة المؤمن ليزداد رشدًا ويقينًا. والحق أن أفضل وسيلة لمعرفة الله وإدراكه هي الدعاء، وبه يتسع نطاق آمال المؤمن.

باختصار، قد دعوتُ لهؤلاء المخلصين كثيرًا، وإني على يقين بأن أدعيتي هذه مُجابة بإذن الله تعالى.

ثم سألتُ الله ﷻ أن يرشدني إلى ما أقوله للحضور اليوم، وأن يعلِّمني ويفهِّمني. لقد رأيتُ الفتنة التي رفعت رأسها الآن، ولم أجِدْ نفسي قادرًا على قمعها بدون توفيقه وتأييده ﷻ. كان توكُّلي عليه وحده، فأَنَبتُ إليه وسألتُه أن يلهمني ما أقوله لهؤلاء الذين اجتمعوا هنا، فأرشد الله تعالى قلبي إلى هذه الآية الكريمة وكشف عليَّ

الحقائق التي تنطوي عليها، فوجدتُ أن الله تعالى بيَّن فيها جميع واجبات الخليفة فقرأتُها على مسامعكم.

لا خلافة إلا بالمشورة

إن مذهبي هو أن لا خلافةَ إلا بالمشورة، أي لا تجوز الخلافة إلا بالاستشارة. وبناءً على هذا المبدأ نفسه قد دُعِيتم هنا. إني بفضل الله تعالى متمسك بهذا المبدأ، وأدعوه تعالى أن أظل ثابتا عليه. لقد أردت أن أستشيركم، لكني لم أكن أعرف فيما أستشيركم فيه. لقد قال لي أحبابي إنه لا بد من التشاور، فقبلتُ اقتراحهم فدعوتُكم، وذلك دون أن أستفسرهم ماذا يقصدون بذلك، لأنني أحب الشورى، لكنني حتى الأمس لم أكن أعرف ما الذي أقوله لكم، فلما دعوت الله تعالى أُلقيتْ في رُوعي هذه الآية.

مهمات الأنبياء أو الخلفاء

المهمة الأولى

يكشف التدبرُ في هذه الآية أن أول واجبات النبي أو الخليفة أن يتلو على الناس آياتِ الله. ومعنى "الآية": السِّمةُ والدليلُ الذي يدل على شيء، فالمراد من تلاوة النبي آياتِ الله تعالى؛ أن يقدِّم للناس

البراهينَ الدالة على وجود الله تعالى وتوحيده، والتي فيها تصديق لملائكته ورسلِه وكتبِه. فقد بيَّن الله تعالى في هذه الآية أن على النبي أن يذكر للناس ما يقودهم إلى الإيمان بالله وكتبه ورسله.

من هنا عرفنا أن المهمة الأولى للنبي وخليفتِه هي تبليغُ الحق والدعوةُ إلى الخير. إنه يدعو الناس إلى الحق، ويدعم دعوته بالدلائل والآيات. وبتعبير آخر إنه يقوم بالدعوة والتبليغ.

المهمة الثانية

والمهمة الثانية للنبي أو الخليفة التي ذكرتْها هذه الآية هي أنه ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾. فعندما يؤمنُ المرءُ بوجود الله تعالى، وببعثة الرسل من عنده، ونزولِ ملائكة الله عليهم، ونزولِ الكتب السماوية بواسطتها، تليها المرحلةُ الثانية وهي مرحلة الأعمال؛ ذلك لأن المرء حين يؤمن بالله ﷻ ينشأ لديه تساؤل عمّا يتعين عليه من أعمال؛ فالشريعة السماوية هي التي تسد هذه الحاجة. إذًا فالمهمة الثانية للنبي أن يعلِّمَ هؤلاء الجُددَ الشريعةَ الإلهية. ولا بد من العمل بالتوجيهات والأحكام التي تأتي عن طريق رسل الله. فالمهمة الثانية للنبي هي أن يعلِّم الناس أحكامَ الله وفرائضه، لأن من معاني ﴿الْكِتَاب﴾: الشريعةَ

والفرائض، ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾.

فتذكروا جيدا أن أُولى مهمات النبي هي إدخال الناس في الإسلام، وثانيتها أن يعلّمهم الكتابَ ويحثّهم على العمل به.

المهمة الثالثة

إن العمل بحُكم من الأحكام يستلزم أمرا آخر، حيث إن مِن طبْع الإنسان أنه لا يجد في قلبه شوقًا ولا رغبة للقيام بعملٍ من الأعمال ما لم يفهم حقيقته و لم يدرك الحكمة الكامنة فيه، لذا قد بيَّن الله هنا المهمة الثالثة للنبي بقوله: ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾.. أي يعلّمهم الحكمةَ، بمعنى أنهم حين يعتادون العملَ في الظاهر يُخبرهم بحقيقة أعمالهم والحكمة وراءها. فحثُّ الناس على أداء الصلاة وتعليمُها لهم يندرج تحت قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾، أما بيان فرضية الصلاة وما هي أهدافها ومقاصدها وحقيقتها فهذا يندرج تحت قوله تعالى ﴿الْحِكْمَةَ﴾.. أي تعليم الحكمة. وأضرب لكم الآن المثال على كلا الأمرين من القرآن الكريم نفسه:

لقد أمرنا الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾(البقرة:٤٤)، وهذا الحُكم يندرج تحت قوله تعالى:

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾. أما قوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(العنكبوت:٤٦) فقد بيّن الله تعالى فيه حكمة الصلاة والغرض منها، كما بيّن حكمةَ الركوع والسجود والقيام والقعود فيها في أماكن أخرى، وأستطيع بيان هذه الحِكم كلها بفضل الله تعالى. فالمهمة الثالثة للنبي أو خليفته هي أن يبيّن للناس حكمةَ أحكام الله تعالى.

باختصار، إن قوله تعالى ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِك﴾ يعني أن النبي يخلق فيهم الإيمان، وقولُه تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني أنه يحثهم على العمل بعد الإيمان، وقوله تعالى ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني أنه يبين لهم حقيقة الأحكام وحكمتَها ليقوموا بها برغبة وحماس. لقد ضربتُ لكم مثالًا فيما يتعلق بحِكم الصلاة، والحق أن الله تعالى قد جعل في جميع الأحكام حِكمًا كثيرة.

المهمة الرابعة

ثم قال الله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾.. أي يطهّرهم بعد تعليمهم الحكمةَ.

غير أن التزكية ليست بوسع أي إنسان، بل الله يزكّي من يشاء، وهو وحده القادر على ذلك.

وهنا ينشأ تساؤل: إذا كانت التزكية من فعل الله وحده، فلماذا قال الله تعالى هنا في وصف النبي: ﴿ويزكّيهم﴾؟

سأتناول شرح هذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد، أما هنا فأقول بإيجاز: إن الله تعالى نفسُه قد أخبر عن طريقة تزكية النبي للناس؛ ألا وهي الدعاء. فالمراد من قوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أنه يدعو ويتضرع إلى الله تعالى لتزكيتهم.

ولقد أودع الله هذه الآيةَ حِكمًا كثيرة، منها أنها تدل على ترتيب مضامين سورة البقرة. فقد واجه المفسرون مشكلة كبيرة في معرفة ترتيب مضامينها إذ لم يجدوا في مواضيعها أي علاقة في الظاهر، فهي تذكر بني إسرائيل مرةً، وتتحدث عن الصلاة مرة أخرى، وتتناول قضية الطلاق طورا، وتتحدث عن حوارات إبراهيم عليه السلام تارة، وتذكر قصة طالوت تارة أخرى. فقالوا: ما الرابط بين هذه المواضيع والأحداث يا ترى؟ غير أن الله تعالى بفضله قد كشف عليّ هذا الرابط من خلال هذه الآية.

ففي عهد سيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه قال لي الأستاذ "فَرْزَنْد عليّ" مرةً: أريد أن أتعلم منك القرآن الكريم. فاعتذرتُ له إذ لم تكن لي معرفة سابقة به، لكنه أصر على طلبه. فقلت في نفسي: لعل هذه مشيئة الله أيضًا. فبدأت أعلِّمه القرآن الكريم. وبينما كنت أقوم

بتعليمه ذات يوم، أُلقيَ في رُوعي كالبرق أن قوله تعالى ﴿ربنا وابعثْ فيهم رسولًا منهم﴾ مفتاحُ سورة البقرة، وأن فيه سرّ ترتيب مضامينها، وللتوِّ فهمتُ ترتيبها فهمًا تامًا.

والآن إذا أمعنتم النظر في ترتيب سورة البقرة على ضوء هذه الآية تبينتْ لكم الحقيقة. فأولًا أخبر الله تعالى في هذه السورة أن منــــزِّل القرآن الكريم هو الله العليم؛ وذلك من خلال قوله المختصر: ﴿الٓمٓ﴾. ثم بيّن ضرورة القرآن الكريم، إذ يسأل سائل: ما الحاجة إلى هذا الدين الجديد مع وجود شتى الأديان الأخرى، ولماذا أنزل الله هذا الكتاب؟ فبيّن الله تعالى الغايةَ من إنزال القرآن فقال: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾.. أي أن الديانات الأخرى كلها تدّعي أن الإنسان يصبح تقيًّا باتّباعها، أما هذا الكتاب فيرتقي بالمتقين أيضا. ذلك أن المتقي هو الذي يبذل أقصى جهده كبشرٍ، أما المراد من هداية هذا المتقي فهو أن يكلِّمه الله بنفسه. وبعد ذلك فصّل الله تعالى أعمال المتقين. ثم بيّن ﷻ ما الذي يميّز المؤمنين بهذا الكتاب عن غيرهم؟ ثم بيَّن تعالى أنه قد خلَق الإنسان من أجل عبادته، فلا بد له من كتاب يوجّهه، ويجب أن يكون ذاك الكتاب من الله تعالى. ثم أخبر الله تعالى أن هذا الهدي والتوجيه لم يزل ينــــزل من عند الله تعالى دومًا منذ القِدم، حيث بُعث آدم في بدءِ العالم. ثم أوضح الأمر

أكثر فبيَّن - بمثال آدم- أن عملية إنزال الهدى لم تنقطع عند آدم، بل كانت ثمة سلسلةٌ طويلة من الأنبياء في بني إسرائيل، فاسألوهم كم أنزلنا عليهم من النِّعم. كما أخبر ﷻ أن الظالمين لا يستحقّون تَلقِّي وحينا، وحيث إن بني إسرائيل قد أصبحوا الآن ظالمين، فلم يعودوا مستحقّين لسماع كلامنا، فالآن ننشئ العلاقات بأُمّة أخرى؛ ألا وهي بني إسماعيل، ذلك لأننا قد وعَدنا إبراهيم بأننا سنُحسن إلى ابنيه كليهما، فما دمنا قد وفَينا بوعدنا في حق أحد الابنين (أي إسحاق)، فلا بد أن نفي بوعدنا في حق الثاني أيضًا. ثم أخبر الله تعالى أن إبراهيم كان قد دعا عند بناء الكعبة دعاءً حان أن يتحقق الآن. وبتكرار قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة:٤١، ٤٨، ١٢٣) بيّن أنه لا يحقّ لبني إسرائيل أن يشتكوا من ذلك، لأن الوعد في حقهم قد أُنجِزَ، وأن الله الذي أنجز وعده في حقهم لا بد أن يفي بوعده في حق بني إسماعيل أيضًا. فهكذا أقام الله تعالى الحجة على بني إسرائيل بأنهم قد عصوا الله تعالى رغم إنزاله نِعمًا عليهم، والآن لم يعودوا مستحقين لها بارتكاب شتى المعاصي والسيئات. لقد جاء فيهم أنبياءٌ وملوكٌ، والآن ستنــــزل النِعم نفسُها على بني إسماعيل.

بعد هذا ينشأ تساؤل: لا شكّ أن إبراهيم قد دعا بهذا الدعاء، لكن كيف نقبل أن هذا الرجل - أي محمد (ﷺ)- هو المبعوث بحسب هذا الدعاء؟ ما الدليل على ذلك؟ فأجاب الله تعالى أن الدليل على أن محمدًا هو الشخص الموعود في هذا الدعاء هو أن الأمور المذكورة في النبوءة كلها متوفرة في شخصه، وحيث إنه قد حقق جميع هذه الأمور والوعود فثبت أنه هو الموعود. لا شك أن القرآن الكريم يسد هذه الضرورات الأربع المذكورة أعلاه، إلا أنه قد لخّصها في هذه السورة (البقرة) خاصة، ليقيم الحجة على المعترضين. فبصدد "تلاوة آيات الله" قال في هذه السورة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(البقرة: ١٦٥).. أي أن في هذه الظواهر دلائل كافية للعاقلين على وجود الله والملائكةِ والكلامِ الإلهي والنبوةِ. وأما "تعليم الكتاب" فبيَّن في سورة البقرة، وبإيجاز، أبرزَ أحكام شرع الإسلام بقوله في كل مرة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾، وكأنه قال: انظروا إلى هذه الشريعة الخالية من أي نقص وعيب، فإنها قد نزلت على هذا

الإنسان، وهكذا صار مصداقًا لدعاء إبراهيم: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِك﴾ وأيضًا لدعائه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَاب﴾ وكانت المهمة الثالثة لهذا النبي الموعود أنه يعلّمهم ﴿الحِكْمَةَ﴾، ولذلك ذكر الله تعالى في سورة البقرة أغراضَ الشريعة وأسرار التقدم القومي بعد ذكر أبرز الأحكام الشرعية، فبيّن بسرد وقائع إبراهيم وطالوت كيف تتقدم الشعوب وكيف تحيا الأقوام الميتة، لذا عليكم أن تسيروا على خطاهم. وقد قال في هذا الموضع خاصة: ﴿ومَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(البقرة: ٢٧٠) ليشير إلى أن هذا الرسول قد حقق المهمة الثالثة أيضًا بتعليمه الحِكَمَ. فمثلًا قد قال الله تعالى في قصة طالوت بأنه أمر أتباعَه ألا يشربَ أحدُهم من نهر، ومَن شرب منه عاقبَه بفصله عنه، وبذكر هذا المثال علَّمنا الله سبحانه وتعالى أن مَن لا يمتثل للحُكْم الصغير، فكيف يُرجى منه أن يستجيب لأحكام كبيرة؟ كما بين الله تعالى بذلك كيف تجب طاعةُ الحاكم في الحرب. ثم أخبر أن الخلفاء دوما يتعرضون للاعتراض، لكن الله تعالى يكتب لهم الغلبة في نهاية المطاف.

رغم بيان هذه الأحكام بقيتْ المهمة الرابعة؛ وهي التزكية، ولذلك أنهى الله تعالى هذه السورة بالدعاء، ليعلّم أن طريق التزكية هو الدعاء. فعلى النبي أن يركّز على الدعاء ويحثّ أتباعه أيضا على الدعاء.

الآن اقرؤوا هذه السورة، فستجدون أنها قد تناولتْ مواضيع تلاوة الآيات وتعليمِ الكتاب والحكمةِ والتزكيةِ بنفس الترتيب الموجود في الآية المذكورة. فثبت أن هذه الآية هي مفتاح سورة البقرة، وقد وضع الله تعالى هذا المفتاح في يدي.

باختصار، إن مهمة النبي تتمثل في التبليغ والدعوةِ وجعْلِ الكافرين مؤمنين، وإقامةِ المؤمنين على الشريعة، ثم إطْلاعِهم على أدقِّ الطُرق، ثم التزكيةِ. وهذه هي أعمال الخليفة أيضًا. واعلموا أن الله تعالى قد عَهِد إليَّ الآن الأعمال نفسها.

إن تلاوة الآيات تتضمن بيانَ الدلائلِ على وجود الله تعالى والملائكةِ وضرورةِ النبوة وصدْق النبوة المحمديةِ وصدق القرآن الكريم وضرورة الوحي والإلهام وعلى الدينونة وقضاءِ الله وقدرِه والقيامة. وهذه المهمة ليست سهلة هيِّنة، وهناك حاجة ماسة إليها، وهذا مشروع ضخم ومهمة واسعة النطاق.

والمهمة الثانية هي تعليم الكتاب.. أي يجب على النبي أو الخليفة أن يوجِّه أنظار المسلمين إلى الشريعة مرة بعد أخرى، ويذكِّرهم بالاستجابة لأوامر الله وأحكامه على الدوام، وإذا لاحظَ تهاونًا فليسعَ لإزالته. والآن يمكنكم أن تقدّروا؛ هل يمكن أن تتحقق هذه المهماتُ على أيدي عددٍ من الكُتَّاب والمحاسبين؟ هل تقتصر مهمةُ

الخليفة على أن يُشرف على جمْع التبرعات ويتأكد من أن هناك مكتبًا للمحاسب وأن التبرعات تُجمَع عنده، ليُنفقَها بعضُ أعضاءِ مؤسسة "الأنجمن". هناك مؤسسات كثيرة وعملاقة في العالم تردُ عليها الملايين من الأموال، فتتولى إنفاقها، ولكن هل تصبح تلك المؤسسات خليفةً لهذا السبب؟!

ألا إن مهمة الخليفة ليست بسيطةً وليست مما يستهان بها. كلاّ، بل هو منصب متميز وفضل خاص يوهب لمن يحبه الله ﷻ. فكِّروا في هذه الفرائض التي بينتُها لكم -بل الله ﷻ قد أخبركم بها بنفسه- هل يقدر سكرتير منظمة أو أنجمن إدارية على القيام بها؟ وهل سيستجيب أحدٌ لأوامره في مثل هذه الأمور؟ أو هل تحققت هذه المهمة على يد مؤسسة إدارية؟ دعُوا المؤسسات الأخرى جانبًا، أخبِروني هل أَنجزت مؤسسة "الأنجمن" عندنا هذه المهماتِ؟ صحيح أن من أعمالها أن تُذكّر أفراد الجماعة بتقديم التبرعات بين حين وآخر، وهي تقوم بذلك، ولكن ما حال باقي المهام؟

فمن المؤكد أن تعليم الكتاب يقتضي وجود خليفة، أما منصب السكرتير لأي منظمة، فليس من الضروري أن يكون طاهرا، إذ من المحتمل أن يوظَّف لهذه الوظيفة عند الحاجة أحدُ المسيحيين أو

الهندوس ممن يتقن الأعمال المكتبية، فكيف يمكن أن يكون هذا السكرتير خليفةً؟

من واجبات الخليفة أن يعمل على تعليم الكتاب؛ لأنه من فرائضه، أما السكرتير العام لـــ"الأنجمن"، فإن تعليم الكتاب لا يندرج في مسؤولياته ويمكنكم أن تقرؤوا قواعدها وتتأكدوا مما أقول.

ثم من مسؤوليات الخليفة أن يبيِّن أغراض أحكام الله وأسرارها، لأن الاطلاع عليها يولد في قلب المرء شوقًا ورغبة في العمل بأحكام الله تعالى. متى اندرج هذا في قائمة المسؤوليات التي عهدت إلى سكرتير مؤسسة "الأنجمن"؟ أخبِروني كَمْ مرة عُلِّمتم حقيقةَ الأحكام الإلهية وفلسفتَها من قِبَل هذه المؤسسة؟

هل بإمكانكم توظيف سكرتير بهذه المؤهلات؟ وهل تقدر المؤسسات على أداء هذه المهمة الخاصة. كلا وإنما تُشكَّل المؤسسات لكي تحتفظ بالسجلات وتسعى جاهدة لتنفيذ أوامر الخليفة.

ثم من واجبات الخليفة تزكيةُ القوم. فهل يقدر أي سكرتير مؤسسةٍ على إنجاز هذه المهمة؟ وهل صدر مثل هذا التوجيه عن أي مؤسسة؟ أم هل سمعتم أيَّ سكرتير يقول: إني أدعو الله تعالى لتزكية القوم متضرعًا وباكيًا. الحق والحق أقول؛ إن هذه المهمة ليست من أعمال سكرتير، كما ليس بوسع أي سكرتير أن يقول إنه يدعو

للشعب بهذا الأسلوب. وكاذبٌ مَن يقول إن مؤسسة "الأنجمن" تقدر على هذا العمل. إنني أقسم بالله أن ليس هنالك أي سكرتير قادر على أداء هذه المسؤولية، كما لا تقدر أي مؤسسة أو منظمة على إنجاز أعمال النبي. فلو كانت الهيئات قادرة على ذلك لما أَرسل الله الرسل إلى الدنيا، بل شكَّل الهيئات مكانهم. هل تستطيعون أن تدلُّوني على مؤسسة ادّعتْ بأنها مأمورة من عند الله تعالى. فليس في العالم مؤسسة دنيوية تقدر على إنجاز هذه المهمة. إن أعضاءها يجتمعون ويتخذون القرارات حول بعض الأمور، ولكن هل رأيتم مؤسسة تتدبر في هذه الآية القرآنية؟ فاعلموا أن الله تعالى إذا عهِد إلى أحدٍ مهمةً؛ أخبره هو بأعماله. وهذه الأعمال المذكورة آنفًا هي أعمال الأنبياء والخلفاء، أما جمع الأموال فهو أدنى درجةً. إن مهمة الخلفاء تربية الناس وتزكيتهم وتطهيرهم من خلال معرفة الله واليقين به، أما جمْع الأموال فتقوم به هيئات هندوسية ومسيحية وحتى ملحدة أيضًا. وإذا حصر أحدهم مهمةَ نبيٍّ أو خليفةٍ في جمع الأموال، فنعوذ بالله منه، فإنها إهانة شديدة وإساءة كبيرة للنبي وللخليفة. لا شكَّ أن النبي أيضًا بحاجة إلى الأموال لتحقيق مقاصده المعهودة إليه، وهو الآخر يقول: "من أنصاري إلى الله"، ولكنه لا يقصد بذلك جمعَ المال، وإنما يريد بذلك أيضًا تزكية الناس

وتطهيرهم، وفي هذه الحالة تنوب عنه أيضا - في جمع الأموال- أنجمن أو مجلسُ شورى.

ألا إني أقول مرة أخرى: إن مهمة الخليفة لا تقتصر على جمع الأموال، ولا تنحصر مقاصده وأهدافه في تأسيس مدرسةٍ مثلاً، لأن الأمم الأخرى أيضًا تقوم بمثل هذه الأعمال في العالم. ثم هناك فرق بين الخليفة والأمم الأخرى فيما يتعلق بهذه الأعمال أيضًا، فهو يلجأ إلى هذا الأعمال كوسائل وأسباب لتحقيق أهدافه، بينما تعتبرها الأمم الأخرى هدفها المنشود. فمثلاً لم يكن الغرض من المدرسة التي أسسها المسيح الموعود عليه السلام ما تقصده الشعوب الأخرى من بناء المدارس.

باختصار، اعلموا أن أعمال الخليفة لا يمكن أن تقوم بها مؤسسة أو أنجمن.

غاية هذا الاجتماع

لقد دُعِيتم هنا لأن الله تعالى قد ألقى في رُوعي أن أستشيركم في كيفية إنجاز هذه المهمات التي وكّلني بها. إني أعلم، بل أوقن؛ أنه تعالى سيهديني إلى الطريق الأنسب لإنجازها، لكنه تعالى نفسُه قد أمرَنا بالاستشارة. لقد أطلعني الله بنفسه على هذه المهمات، وهو

الذي ألقى في قلبي هذه الآية التي تلوتُها عليكم. كنت أفكر في حيرة؛ لقد دعوتُ هؤلاء القوم هنا، ولكن ما الذي سأقوله لهم؟ فألقى الله فجأة في قلبي هذه الآيةَ عند صلاة العصر أو المغرب أولَ أمسِ.

إذًا، هذه هي المهمات الأربع للأنبياء وخلفائهم وأريد أن أستشيركم في كيفية إنجازها.

ثماني مهمات لا أربع

والآن أود أن أتناول بيان هذه المهمات بشيء من التفصيل وأشرحها من منطلق آخر.

فحينما تدبرتُ هذه الآية تبينَ لي أن هذه المهمات الأربع تنطوي على المزيد من المعاني، فصارت ثماني مهمات.

أولًا: قوله تعالى ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِك﴾.. أفسّره بمفهومين.. أولهما أنه يتلو آيات الله على الكافرين فيجعلهم مؤمنين.. أي أنه يقوم بالدعوة والتبليغ، وثانيهما أنه يقرأ على المؤمنين آياتِ الله، أي أن من مهمته تصحيح الإيمان وتطويرُه أيضًا. وهكذا صارت المهمة الأولى مهمتينِ.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ .. إذ أن القرآن الكريم موجود فالمراد الحقيقي من تعليم الكتاب؛ تعليم القرآن وتفهيمُه

وتفسيرُه.. أي إنشاءُ مدارس لتعليم القرآن، ومعاهد أخرى لتعليم معاني القرآن وتفسيره بالإضافة إلى علومٍ أخرى خادمةٍ للقرآن الكريم. وفي هذه الحالة يتضمن "تعليمُ الكتاب" إشارة إلى إنشاء المدارس الدينية وتكميل أهدافها، كما يشير إلى مهمة أخرى وهي جَعْـــلُ الناس يعملون بتعاليم القرآن الكريم، لأن التعليم نوعان: أحدهما تدريس الكتاب، وثانيهما جَعْـــلُ الناس يعملون بحسبه.

ثالثًا: قوله تعالى ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يشمل وضْعَ الخطط لبيان حكمة الكتاب ثم تنفيذها، لأن هذه الفريضة تتضمن إطْلاع الناس على أسرار أحكام الشرع.

رابعًا: قوله تعالى ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: عندما فكّرت في معاني التزكية تبيَّن لي المعنى الذي ذكرتُه من قبل؛ أي يزكّيهم بالدعاء. وهناك معنى آخر ذكَره ابن عباس رضي الله عنه وهو: "يولِّد فيهم طاعةَ الله والإخلاص له". إذًا عليه ﷺ أولًا أن يسعَى لأن يُبعِد أفراد الجماعة عن الذنوب حتى لا يتورطوا فيها، وثانيًا عليه أن لا يكتفي بتجنيبهم الذنوب، بل ينبغي أن يولّد فيهم الرغبة في كسب الحسنات أيضًا. وبتعبير آخر عليه أن يتخذ التدابير لإبعاد الجماعة عن الذنوب من ناحيةٍ، ومن ناحية ثانية عليه أن يزيِّنهم بالحسنات ويقودهم إلى أرفع المراتب ويولِّد في نفوسهم روح الطاعة والإخلاص.

وهناك معنى ثالث للتزكية وهو الزيادة والنماء، وعليه فالمراد من قوله تعالى ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أنّ عليه أنْ يعمل على رقيِّهم وتنميتهم – من كل النواحي– دينيًّا وماديًّا، فإذا كانوا متخلفين في العلوم المادية فعليه أن يعمل على ما يسدّ هذا النقص، وإذا كانوا قليلي العدد فعليه أن يسعى لزيادة عددهم، وإذا كانوا ضعفاء من الناحية الاقتصادية فلينهضْ بهم اقتصاديًا. باختصار؛ إن من مسؤوليته أن يسد كل ضعف ونقص فيهم. ومن هذا المنطلق إن من مسؤولية النبي والخليفة أن ينهض بأفراد الجماعة في جميع مناحي الحياة.

وإذا تقرر أن من مهمته أن يطهّرهم من الأدران ويطوّرهم (*بالنظر إلى أن معنى التزكية هو التطهير أيضا*)، فلا بد له من الاعتناء بالفقراء ورعايتهم؛ لأنهم أيضًا مصابون بنقص ماديٍّ، ومن واجبات الخليفة العمل على تحسين أوضاعهم المادية. ولتحقيق هذه المهمة فرض الله الزكاة على الأغنياء، لأن من مسؤولية الخليفة توفير متطلبات الحياة لفقراء الجماعة ومساكينها، وهذا يتطلب مالاً. إذًا، لقد فرض الله الزكاةَ على الأغنياءِ لتحقيق هذه المهمة.

فقوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يعني أن عليه أن يعمل على تطهيرهم، ويولّد فيهم الإخلاص، ويطوّرهم وينميهم في كل مجال، ويصلح شأنهم بإقامة نظام جمع الصدقات. هنا يمكن أن يتقدم أصحاب

مؤسسة "الأنجمن" أيضا باقتراحاهم، لأن إدارة هذه الأمور تقتضي وجود الأنجمن، ومع ذلك فإن هذه الأمور هي مهمة الخليفة وليست من عمل "الأنجمن".

ولعلكم أدركتم الآن أن هذه الأمور تندرج تحت قوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾. هذا الكلام ليس ضربًا من الخيال والتخمين، بل إن المعاجم العربية كلها وأقوال الصحابة تدعم هذا الاستنتاج. لقد ذكرتُ لكم أعمال الخليفة هذه كما ذكرها الله تعالى، وبينتُ حقيقتها على ضوء معاني التزكية الواردة في المعاجم العربية وأقوال الصحابة، وينحصر دَوري في هذا البيان في أن الله تعالى كشف عليّ هذا الأمر بصورة متكاملة؛ حيث أعطاني الله بفضله مِفتاح سورة البقرة. اليوم أدركتُ لماذا ألقى الله هذه الآيةَ في قلبي بسرعة البرق قبل ثلاث سنوات. ما كان لي أن أطّلع على السر الكامن في هذا الإلقاء الإلهي قبل الأوان، فهذه الحقيقة قد انبلجت لي اليوم؛ وهي أنه كان من المقدر عند الله تعالى أن تُوكَّل هذه المهمات إليَّ، وأن أُقامَ لإنجازها في يوم من الأيام. وحيث إنه قد تبيَّن لنا ما هي أعمال الخليفة، وبتعبير آخر ما هي فرائضي وواجباتي، فالسؤال الذي ينشأ هنا هو: كيف أُنجز هذه الواجبات. وللاستشارة في هذا الأمر قد دعوتُكم هنا.

وصية الخليفة الأول تتضمن المهمات الأربع

لقد عرفتم الآن أن أول واجبات الخليفة وأهمها؛ هو الدعوة والتبليغ، لذا علينا أن ندرس هذا الأمر ونضع خطة له. لكن قبل ذلك أريد توجيه أنظاركم إلى أمر آخر قد أُلقيَ في قلبي حالاً، وهو أن هذه المهمات الأربع للخليفة مذكورةٌ في وصية سيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه أيضًا.

لقد قال سيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه للمسيح الموعود عليه السلام في وصيته لمن يخلُفه في منصب الخلافة أن يكون تقيًا، محبوبًا لدى الجميع، وأن يواصل درس القرآن والحديث، وأن يكون عالِمًا عامِلاً. فقوله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ إشارة إلى درس القرآن والحديث، لأن المراد من "الكتاب" هو القرآن الكريم، أما "الحكمة" فقد فسّرها بعضُ الأئمة بأنها الحديث، وهكذا فقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني أن يعلّمهم القرآنَ والحديثَ. فالذي يريد الدعوة والتبليغ لا بدَّ أن يكون عالمًا، والذي يريد تزكية القوم لا بدَّ أن يكون تقيًا وعاملاً بعلمه ومحبوبًا عند الناس، إذ لا يقدر على تزكية الآخرين إلا الذي يتحلى بالتقوى،

فالذي لا يعمل بما يأمر الناس به، فلن يُصغوا له ولن يعملوا بنصحه. كذلك لا بد أن يصبح المزكِّي محبوبا بين الناس.

هنا يمكنكم أن تقولوا: ثمة أمر آخر في وصيته رضي الله عنه لمن يخلفه، وهو أن يعامِل الناس بالعفو. فأقول: هذا الأمر أيضًا مذكور في دعاء إبراهيم عليه السلام هذا، حيث قال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. ذلك أن الله ﴿الْعَزِيزُ﴾ لا بد أن يجعل الخليفة عزيزًا غالبًا، الأمر الذي سيؤدي إلى عفوه عن الناس، لأن العفو لا يكون إلا عند المقدرة، وهذه هي الحكمة في ورود صفة الله ﴿الْعَزِيز﴾ في هذا الدعاء. ثم ذكر الله تعالى هنا صفته ﴿الْحَكِيمُ﴾ ليخبر أن هذا العفو لن يكون عبثًا، بل سيكون ناجما عن حِكَم كثيرة.

فالحق أن وصية سيدنا الخليفة الأول - تغمده الله بأفضال كثيرة - إنما هي تفسيرٌ لهذه الآية. وما دامت مهمّات الخليفة محدَّدة سلفًا من قِبل القرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفة الأول رضي الله عنه، فكيف يحق لأحد الآن تقديمُ شروط جديدة. فبَعْد الشروط المُعلَنة من قِبل السلطة في أمرٍ ما، لا يحق لأحد أن يقدم شروطا من عنده.

إن الله تعالى بنفسه يختار الخليفة، فكيف يحق لكم أن تضعوا عليه الشروط. اتقوا الله وتوبوا عن هذه الأمور، ففيها إساءة الأدب. لقد حدَّد الله بنفسه أعمال الخليفة، فلا يحق لأحد أن يعدّلها أو يتكلم

ضدها. إنني أقول لكم مكررًا: إن الخليفة الأول - عليه ألف ألف رحمة - قد قدَّم أيضًا الأمور نفسها التي ذكرها الله في هذه الآية، وكأن وصيته تفسيرٌ لهذه الآية. والآن أودّ أن أشرح هذا الموضوع بمزيد من الإيضاح.

مهمة الدعوة والتبليغ

إن أوّل مهامّ الخليفة هي الدعوةُ والتبليغ. لقد فكرتُ كثيرًا ووجدت أنني مُولَع بالدعوة وشغوف بالتبليغ منذ الصغر دون أن أدري سبب ذلك؛ فكنت أدعو الله تعالى منذ الصغر بولع شديد بأن تَتِمَّ كل المنجزات الإسلامية على يديَّ أنا. لا أعرف متى نشأت هذه الرغبة فيَّ. فمنذ وعيتُ وجدت نفسي متحمسًا لهذا العمل، وكنت أدعو الله تعالى أن لا يتحقق أي إنجاز للإسلام إلا على يديَّ، وأن تكون هذه المنجزات كثيرةً بحيث لا تخلو أية حقبة من الزمان إلى يوم القيامة من تلامذتي الخادمين للإسلام. لا أدري حتى اليوم لِمَ أُلقيَ في فطرتي هذا الحماس الشديد لخدمة الإسلام، كل ما أعرفه أن هذا الحماس قديم جدًّا، وبدافع هذا الحماس والرغبة كنت أدعو الله تعالى أن تتم دعوة الإسلام على يدي. وإني أشكر الله تعالى على أن أعطاني بشارات كبرى استجابةً لدعواتي هذه. باختصار، عندي

رغبة عارمة للدعوة والتبليغ. إني أدرك أن الله تعالى يتقبل الدعاء، وأعلم أيضًا أن من المحال أن يجتمع العالَم كلُه على دين واحد، من ذا الذي يقدر على إنجاز المهمة- أو حتى الادّعاء بذلك - التي لم يستطع سيدنا محمد ﷺ إنجازها؟ ولكن لو وُفّق أحدُ خدامه وغلمانه ﷺ للدعوة إلى الإسلام إلى حدٍّ ما، فلن يُعَدّ هذا من كماله الشخصي؛ وإنما يُعَدّ من كماله ﷺ. فكما قلتُ: كانت في قلبي رغبةٌ شديدة للتبليغ، وكنت متحيرا كيف أقوم به، فقد كنت عديم الحيلة.. فخررت على أعتاب الله تعالى ودعوتُه - وهل كنت أملك غير الدعاء - فقلت: إلهي، ليس عندي علمٌ ولا ثروة ولا جماعة ولا شيء آخر للقيام بهذه الخدمة ولتحقيق هذه الأمنية. ولكني أرى الآن أنه تعالى قد استجاب دعواتي، وهيَّأ من عنده الأسباب وأقامكم لنصرتي.

فأنتم قوم اختارهم الله تعالى، وإنكم لَثِمار أدعيتي التي أراني إياها، وإني واثق بعد رؤيتها بأن الله تعالى بنفسه سيهيئ الأسباب الأخرى أيضا، وسيحقق هذه البشارات. وإني على يقين الآن بأن هداية الدنيا الآن ستتم بواسطتي أنا، ولن يأتي إلى يوم القيامة زمنٌ يخلو من تلامذتي، لأن الإنجازات التي ستُحرزونها ستُعَدُّ من منجزاتي أنا.

بوسعكم الآن أن تدركوا أن ولعي بالدعوة ليس وليد الساعة؛ إذ كنت أقترح- حتى قبل تقلّدي لهذا المنصب- شتى الاقتراحات للدعوة كلما سنحتْ لي الفرصة. والآن أدركتُ سبب ذلك الحماس الشديد والولع الفطري والرغبةِ العارمة للقيام بهذا العمل وللسير في هذا الدرب. كان ذلك لأن هذا العمل كان من مسؤولياتي التي ستُوَكَّل لي؛ إذ كيف أقدر على إنجاز هذه المهمة بدون أن يخلق الله تعالى في روحي حماسًا فطريًا للقيام بها.

أودّ الآن أن أستشيركم فيما يمكن اتخاذُه من تدابير للدعوة، وأُخبركم أولاً بخطّتي بهذا الشأن لتفكِّروا فيها وفي كيفية تنفيذها.

ضرورة دُعاةٍ بكل لغة

أريد أن يكون من بيننا أناسٌ يتعلِّمون شتى اللغات لدرجة الإتقان حتى تسهل علينا الدعوةُ بكل لغة. وعندي خطط ضخمة ومقترحات عظيمة بهذا الصدد، وإني موقن بفضل الله تعالى أن هذه الخطط ستُنجَز في أوانها لو مدّ الله تعالى في حياتي وهيأ لي الأسباب بفضله ووفَّقني لاستغلالها كما ينبغي. باختصار؛ إني أنوي الدعوة بكل لغة وفي كل شعب لأن التبليغ مسؤوليتي. إني أدرك أنها خطة عظيمة وتتطلب الكثير، لكنني على يقين بأن كل شيء سيتيسَّر من

عند الله تعالى، وأن ربي الذي وكّلني بهذا الأمر قادرٌ يملك كل قوة، فهو الذي سيمكّنني من تحقيق هدفي هذا. إني أدرك أن هذا الهدف يتطلب مالاً كثيرًا وأناسًا كثيرين، لكن خزائن ربي لا ينقصها شيء. ألم نشاهد عجائب قدرته من قبل؟ فهذه القرية (قاديان) التي لم يكن يعرفها أحدٌ قد نالتْ شهرة عالمية بسبب ظهور مبعوث رباني فيها، وأرسل الله من عنده مئات الألوف من الروبيات تحقيقًا لأهدافه كما وعد، حيث قال له عليه السلام: "ينصرك رجالٌ نوحي إليهم من السماء" (الاستفتاء). فإذا كنت على يقين بأن المهمة التي وُكِّلت لي هي مهمّتُه سبحانه وتعالى، إذ لم أطلبْها منه، بل هو الذي عهِدها إليَّ، فلا بد أن يوحي سبحانه وتعالى إلى الرجال لنصرتي كما كان يوحي في زمن المسيح الموعود عليه السلام. فلا داعي للقلق بخصوص الأموال يا أحبابي، فهو الذي سيهيئ الأسباب لذلك؛ سيأتيني بأصحاب النفوس الطيبة الذين سينصرونني في هذه الأعمال. وأقول لكم بكل بصيرة ويقين - لا بناءً على خيالي وأفكاري - إن هذه المهمات لن تتم نتيجة حثٍّ مِن قبل محاسبٍ يعمل في مؤسسة "الأنجمن"، لأن الله تعالى نفسه قد وَعد المسيح الموعود عليه السلام وقال: "ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء". فالله تعالى قد تولى بيده مسؤوليةَ محاسب "الأنجمن" ووعَد بأنه هو الذي سيُلقي في قلوب الناس أن يدفعوا المال لهذا الغرض.

غير أنه تعالى قد بيّن باستخدام صيغة الجمع: "نوحي" أن بعض الناس أيضًا سينالون الثواب باشتراكهم معنا في حث الناس على دفع المال. فالله تعالى بنفسه يتولى لنا عمل المحاسِبين والجُباة، وعنده كنوزُنا كلُها. إذا كان ﷺ قد وعدَه قائلا: "ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء". فما الداعي للقلق؟ نعم هناك فرصة للثواب، فمبارك من يغتنمها.

الدعوة في الهند

أولاً: وفيما يتعلق بالدعوة فأود أن تشمل دعوتُنا كلَّ بلدة وكل قرية في الهند، إذ يجب أن يصل إليها دعاتُنا لتبليغ رسالة هذه الجماعة الربانية، ليشرحوها لأهلها بصورة واضحة. هذه المهمة ليست هيّنة ولا سهلة، غير أن الله يمكن أن يجعلها بسيطة وسهلة بعجائب قدرته تعالى. وليس علينا أن نُكره الناس على قبول الحق، ولكن من واجبنا أن نبلغهم رسالة الحق، أما أن يصدّقوها أو يرفضوها، فهذا شأنهم. فإذا كانوا لا يؤدون واجبهم، فهذا لا يعني أن نتهاون في أداء واجبنا.

تحضرني الآن هذه القصةُ لرجلٍ صالح: يروى أن أحد الصالحين كان يداوم على دعاء خاص في كل ليلة، وعند الصباح كان يسمع

صوتًا يقول: لن أستجيب لك أبدًا وإن دعوتَ طوال العمر، وظل الحال هكذا لعشرين سنة. وذات يوم نزل عنده أحدُ مريديه وأقام عنده، فوجد الشيخ يبيت داعيًا طوال الليل ويسمع عند الصباح هذا الصوت، وتصادف أن المريد أيضًا كان يسمع ذاك الصوت، وتكرر ذلك لليلتين، وفي صباح الليلة الثالثة قال لشيخه: ما دمتَ تتلقى هذا الردّ العنيف كل صباح، فلماذا أنت مصرٌّ على هذا الدعاء؟ فقال الشيخ: ما أقلّك صبرًا! فمن واجب العبد أن لا ينقطع عن الدعاء، أما الاستجابة فبيد الله، ولذلك لا أبرح أدعوه على الدوام بغضّ النظر هل يجيبه سبحانه وتعالى أم لا. ورغم أنني لا أزال أسمع هذه الأصوات منذ عشرين سنة إلا أني لم أسأم ولم أُصَب بالملل قط، أما أنت فقد سئمت خلال ثلاثة أيام فقط. فأوحى الله إلى العبد الصالح في الليلة التالية وقال: لقد استجبتُ جميع دعواتك التي دعوت بها خلال عشرين سنة ماضية.

فغاية القول: ليس علينا إلا البلاغ، وينبغي ألا نملّ ولا نتوقف عن التبليغ بحجة أن الناس لا يقبلون الحق، ذلك لأنا لسنا مأمورين بإكراه الناس على الإيمان، وإنما علينا أن نؤدي واجبنا لكي نقول لله سبحانه وتعالى: ربنا قد بلّغْناهم.

فقد قال الله تعالى للنبي الكريم ﷺ: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾(الغاشية ٢٣) وقال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(البقرة ٢٥٧)، وقال: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ (المائدة ٦٨). فينبغي أن نؤدي مسؤوليتنا. ما دام الإكراه على الإيمان ليس من واجبنا، فلماذا نترك فرائضنا انزعاجًا مما يفعله الآخرون. علينا أن نبلِّغ الحق ابتغاء مرضاة الله فقط. فاقترِحوا كيف نوصل دُعاتنا إلى كل بلدة ومدينة وقرية، حتى تشهد السماء والأرض على أننا قد أدينا فريضتنا وبلَّغنا الرسالة.

ثانيًا: علينا أن نرسل الدعاة والوعّاظ إلى كل بلد في العالم أيضًا، ولا أتردد في أن أقول بأن الهدف من دعْوتنا تبليغُ الإسلام بحسب مفهوم الجماعة الإسلامية الأحمدية. هذا هو مذهبي، وهذا ما سمعتُه من سيدنا المسيح الموعود عليه السلام داخلَ البيت وخارجه. فقد كان يقول: إن تبليغ الإسلام في هذا العصر ينحصر في تبليغ دعوتي ونشرِها. فانشروا الإسلام كما جدَّده المسيح الموعود عليه السلام. كان عليه السلام يتحدث عن نفسه في كل كتاب من كتبه، فكيف نستطيع عَرض الإسلامِ الحيِّ من دون ذِكر المسيح الموعود عليه السلام؟ فالذين يتركون أسلوب المسيح الموعود عليه السلام في التبليغ مخطئون، وهذا ضعفٌ منهم، لقد قامت الحجة عليهم. لقد عثرتُ على قول لحضرته عليه السلام وجّهه إلى المولوي محمد علي المحترم خاصةً، وقد نُشر الخبر عنه

في جريدة "بدر" المجلد ١٨ عدد ٢١ شباط/فبراير ١٩٠٧م صفحة ٤، كالآتي:

"في ١٣ شباط سنة ١٩٠٧م دعا حضرته عليه السلام المولوي محمد علي المحترم وقال له: "إننا نريد أن نُصدر كتابا باللغة الإنكليزية لأداء حق الدعوة في أوروبا وأمريكا، وأعهد بهذه المسؤولية إليك. إن أسباب عدم انتشار الإسلام في تلك البلاد في العصر الحاضر - وإذا اعتنق أحدهم الإسلام فيكون ضعيف الإيمان - تنحصر في عدم اطّلاعهم على لُبّ الإسلام، إذ لم تُعرَض عليهم حقيقته. فمِن حقهم أن يُعرَض عليهم الإسلام الحقيقي الذي كشَفه الله علينا، وأن يطّلعوا على تلك الأمور المتميزة التي خصّ الله بها هذه الجماعةَ، وأن نعرض عليهم وحيَ الله ومخاطباته الكثيرة التي تلقيناها، وأن تُدَوَّن جميعُ الأمور التي أنيطتْ بها عزةُ الإسلام في هذا الزمن. يجب أن تُسجَّل جميعُ البراهين التي فهَّمَنا الله تعالى إيّاها لبيان صدق الإسلام في مكان واحد. فإذا تمَّ تأليف كتاب شامل على هذا النحو، فمن المأمول أن ينتفع به هؤلاء القومُ نفعًا عظيمًا."

فما دام المسيح الموعود عليه السلام نفسه قد علَّمَنا أسلوب تبليغ الإسلام في أوروبا وأمريكا فما الداعي إلى اتخاذ منهج جديد؟ من المؤسف أن الشخص الذي عُهِدتْ إليه هذه المهمةُ باعتباره أهلاً لها

هو الذي - بحسب زعمهم - يسلك الآن طريقا مخالفًا. إن من الخطأ القول بأن الناس في أوروبا غير مستعدّين لسماع الحديث عن الجماعة، فقد وصلتني رسالة من أحد الأصدقاء بأن الناس مستعدّون لسماع ما تقوله جماعتنا، إذ تتواجد هناك طوائف تنتظر ظهور المسيح في هذه الأيام. كما نتلقى الرسائل من قبل الذين يطالعون مجلتنا "ريفيو أوف ريليجنز"[1]. وهذه الرسائل تأتينا من السويد وإنجلترا أيضًا. فأحدهم قرأ في المجلة مقالا عن هجرة المسيح الناصري عليه السلام إلى كشمير، وطلب منا أن ننشره منفصلا، ونرسل إليه ألفَي نسخة منه ليوزِّعها على الناس. فقد أرسل إلينا هذه الرسالة أحد الإنجليز أو الألمان. إذًا فهناك نفوس طيبة مستعدة للاستماع، لكننا بحاجة إلى من يُسمعهم ذلك.

ولقد ظللت صامتا حول موضوع التبليغ في أوروبا حتى اليوم، ليس لعجزي عن اتخاذ القرار بهذا الشأن، وإنما فعلتُه من باب الحيطة والحذر؛ إذ رأيت أن الذين ذهبوا إلى تلك البلاد هم أعلم بأوضاعها، أما أنا فلم أذهب إلى هناك، لذا ينبغي أن أظل صامتًا في هذا الموضوع. ولكن قد أخبرَنا بعض من زار تلك البلاد أن أهلها

---

[1] مجلة شهرية باللغة الإنجليزية لمقارنة الأديان صدرت في زمن المسيح الموعود عليه السلام منذ عام ١٩٠٢، وتصدر حاليا من لندن. (المترجم)

مستعدّون لسماع الحديث عن المسيح الموعود عليه السلام، فيجب التطرق إلى ذكره عليه السلام في أثناء الدعوة. وعلاوة على ذلك فإنه عليه السلام نفسُه قد قال بخصوص تبليغ الإسلام في أوروبا وأمريكا أنه لا بد من الحديث عن الأحمدية. وإن الكشف الذي شاهده عليه السلام هو الآخر يؤكد أن كتاباته ستصل إلى تلك البلاد.

وبعد إمعان النظر في هذه الأمور كلها رأيت أنه لا بد من نشر الأحمدية في أوروبا وغيرها من البلاد الأجنبية، فينبغي أن يصِل دعاتُنا إلى هناك، ليُخبروهم أن دينهم ميِّت لا روح فيه، وأن الدين الحيّ هو الإسلام وحده، والذي نجد البراهين الدالة على حياته حتى في هذا الزمن، إذ قد نزل فيه المسيح الموعود عليه السلام. باختصار، يجب تبليغ دعوة الجماعة إلى تلك البلاد أيضًا، أما البلاد التي لا نستطيع إرسال الدعاة إليها حاليًا، فيجب على الأقل أن نُعدّ نشرات صغيرة لتوزيعها فيها.

التبليغ بنشر الإعلانات في الجرائد

ونتيجة لولَعي الشديد بالتبليغ قد خطرتْ ببالي تدابير مدهشة لنشر الدعوة. فمثلاً فكّرتُ مرةً في نَشْر إعلان عن الأحمدية في بعض جرائد الصين على شاكلة ما تنشره الشركات التجارية من دعايات

في الجرائد، فأدفع للجريدة الثمن سلفًا لكي تظل تنشر هذا الإعلان لأمدٍ معيَّن؛ فمثلاً يمكن أن يُعلَن فيها بخط بارز: "**لقد جاء المسيح الموعود**." باختصار لا أستطيع أن أعبر لكم بالكلمات عن ذلك الحماس والحب الذي فُطِرتُ عليه للدعوة. وإنما ذكرتُ لكم هذه الفكرة مثالا على بيان شدة ذلك الحماس، وإلا فهي ليست إلا مجرد فكاهة، وكنت قد ضحكتُ من هذه الفكرة عند نشوئها؛ إذ كان هذا أسلوبًا طريفًا للدعوة. لكن ذلك ليس جديدًا، فسيدنا المسيح الموعود عليه السلام هو الآخر كانت تدور بخلده خططٌ عجيبة لنشر دعوة الجماعة؛ حيث كان دائم التفكير ليلَ نهارَ كيف يبلِّغ هذه الدعوة إلى كافة أنحاء العالم. فذات مرة اقترح أن يكون لأفراد الجماعة لباسٌ مميزٌ ليكون كلُ شخص في حد ذاته دعوةً متجسدة، ولكي يتعرف أبناءُ الجماعة بعضُهم إلى بعضٍ بسهولة، فظل هذا الاقتراح موضع النقاش لبعض الوقت. وأعتقد أن هذا ما دفع أحدَ أفراد الجماعة في مدينة لكهناو إلى أن يكتب على طربوشه كلمة: "الأحمدي".

ملخص القول: يجب أن تتم الدعوةُ وفي كل أنحاء العالم، حتى لا تبقى بقعة من بقاعه خاليةً من الدعوة. واعلموا أن هذا الحماس،

وهذه الاقتراحات والجهود ليست منا، بل هي كلها لحضرته عليه السلام، إذ لا نملك شيئًا.

من أين يتوافر الدعاة؟

عندما نطمح أن تتم دعوتنا في أكناف العالم كلها، وفي الشعوب كلها، وباللغات كلها، فالسؤال الذي يفرض نفسه هو: من أين نأتي بالدعاة من أجل الدعوة؟ وهذا السؤال يحزن قلبي ويؤلمه دائمًا. وقد كان المسيح الموعود عليه السلام أيضًا يتألم ويتمنى أن يتوافر الدعاة المخلصون، كما أن هذه كانت أمنية سيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه أيضًا. وهذه الأمنية نفسُها قادتْني إلى أن أقدّم في هذا المكان وفي هذا المسجد اقتراحَ تأسيس "المدرسة الأحمدية"، فلاقى اقتراحي في هذا المسجد نفسه معارضةً شديدة. ولكن لما كان اقتراحي خاليًا من أي مصلحة شخصية مني- إذ لم أقدم هذا المشروع إلا لنشر دعوة الأحمدية- فقد أقام الله تعالى هذه المدرسة أخيرًا رغم معارضة بعض الشخصيات الكبيرة. لم يدرك بعض أصحاب الرأي في ذلك الوقت مدى حاجتنا إلى هذه المدرسة، فعارضوا هذا المشروع، ولكني كنت ألاحظ أن العلماء يُتوفَّون ولا يخلفهم علماء آخرون. فيا أحبتي، إن هذا الحزن والألم ليس مما يستهان به. أتريدون أن تتوجهوا- من

أجل الحصول على فتوى- إلى مؤسسة "الندوة" أو غيرها من كتاتيب أو علماء غير الأحمديين الذين قد أصدروا فتاوى التكفير ضدنا؟ فبما أن الأمة بدون العلوم الدينية تموت، فقد قدمت اقتراح تأسيس المدرسة الأحمدية رغم المعارضة الشديدة لها، وهي تتطور يوما بعد يوم بفضل الله تعالى. وسوف يتخرج فيها في المستقبل علماء مثقفون، وسوف ينفعوننا إن شاء الله تعالى، ولكن الضرورات ملحّة، وهي تفرض علينا أن يكون عندنا في هذا الوقت دعاةٌ ووعّاظ. أود أن يكون في كل قرية علماء ومُفتون من جماعتنا، يلقِّنون الناس العلومَ الدينية وينشرونها بشكل منظّم حتى لا يبقى هناك أحمدي واحد لا يعرف القراءة والكتابة ولا يكون ملمًّا بالعلوم الدينية. وهناك اقتراحات عجيبة في ذهني بهذا الصدد أيضًا ستتحقق إن شاء الله تعالى.

إذًا، فإنه لفي غاية الأهمية أن نسأل: مِن أين يتوافر الدعاة؟ وحيث إننا نريد أن تتم دعوتُنا في كل شعب وبكل لغة، فمن الضروري أن ندرِّس شتى اللغات. وكنت قد نويت في حياة سيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه أن يتوافر عندنا طلابٌ يتعلمون اللغة السنسكريتية، ثم يفتحون مدرسةً في بعض قرى الهندوس، ويقومون بواجب التبليغ أيضًا بجانب التعليم، ولْيبقَوا في تلك القرية لأمد

معيَّن، حتى إذا تمكَّنوا من بذْر بذرة الإسلام فيها، فلْيوكِّلوا أمر المدرسة إلى بعض تلاميذهم، وينتقلوا إلى قرية أخرى للقيام بنفس المهمة، ويقوموا بالدعوة بكل وسيلة سهلة ممكنة.

هناك حاجة ماسة إلى مثل هؤلاء الذين يتقدمون لخدمة الدين. أما وكيف تتحقق هذه الحاجة، فهناك طريقة سهلة؛ فقد ألقى الله في روعي أنه يجب أن تكون هنا مدرسةٌ لهذا الغرض. ولهذا فأدعوكم إلى التشاور فيما بينكم بهذا الصدد لأفكرّ فيما تشيرون به عليَّ. وها إني أقولها لكم مرة أخرى بأني لا أستشيركم إلا بناء على أمر الله تعالى: ﴿وشاوِرْهم في الأمر فإذا عزمتَ فتوكَّلْ على الله﴾(آل عمران:١٦٠). فتشاوروا فيما بينكم، ثم قدِّموا لي المقترحات التي تتوصلون إليها لأدرسها، وسأتخذ القرار في ضوء ما يُلقي الله ﷻ في قلبي متوكلا عليه.

باختصار، ينبغي أن تكون عندنا مدرسة تقام فيها الدورات لشهر أو ثلاثة أشهر، يشترك فيها الوافدون من مختلف الأماكن ويعودون بعد إنهاء الدورة إلى أوطانهم ليباشروا هناك أعمال التبليغ لسنة كاملة على ضوء ما تلقَّوا في هذه الدورة من علوم. ثم تأتي مجموعة أخرى وتعود إلى وطنها بعد انتهاء الدورة وتقوم بأعمال الدعوة لمدة عام، ثم إن المجموعة التي جاءت في السنة الأولى ينبغي أن ترجع إلى المركز

لمتابعة الدورات الأخرى لتذهب بعدها للتبليغ بما تعلّمته. وسوف أعيِّن أساتذة خصوصيين لهذا الغرض، يتعلم على أيديهم هؤلاءُ الطلاب باستمرار على هذا النحو إلى أن يكتمل تعليمُهم. وطريقة الدراسة هذه تُشْبه الصلاة في ميدان الحرب. الواقع أننا في حرب مع العدو في العصر الحاضر، لكنها ليست بالسيف والسنان، وإنما بالدلائل والبراهين، فعلينا تسليحُهم بهذه الأسلحة نفسها، وما اقترحته هو أحد طرق تسليحهم.. أي أن تخرج المجموعة الأولى للتبليغ بعد الدراسة لعامٍ، ثم تعود لتكمِّل الدورة الثانية ليرجعوا مرة أخرى إلى ميدان الدعوة، ولْيستمروا في ذلك لخمس سنوات أو ستٍّ أو إلى ما شاء الله حتى يصبحوا دعاة أكفاء. وهذه إحدى الطرق لإعداد الدعاة. فعليكم إعمال الفكر في كيفية فتْح مدرسةٍ كهذه.

تعيين الوعّاظ

ثم هناك حاجة إلى الوعاظ في مدن مختلفة، ورأيي أن يكونوا عشرةً على الأقل، لنرسلهم إلى مناطق مختلفة، فمثلا يتوجَّه أحدهم إلى سيالكوت ويقيم هناك ليلقي الدروس ويقوم بالدعوة لثلاثة أشهر، وبعد ذلك ينتقل إلى مكان آخر. وهذا الأسلوب في رأيي

أكثر نفعًا من إلقاء محاضرة أو درسٍ في مكانٍ ليوم واحد فقط. ويُستحسن أن يكون عدد هؤلاء الوعاظ كما قلت؛ عشرةً وإن لم يتوافر عشرة؛ فليكن خمسة على أقل تقدير.

قصة قوم لوط

وهنا تحضرني واقعة خطيرة من التاريخ، فحين نزل العذاب على قوم لوط، دعا إبراهيم عليه السلام ربّه، حيث ورد:

"فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ. أَفَتُهْلِكُ الْمَكَانَ وَلاَ تَصْفَحُ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لاَ يَصْنَعُ عَدْلًا؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنْ وَجَدْتُ فِي سَدُومَ خَمْسِينَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ، فَإِنِّي أَصْفَحُ عَنِ الْمَكَانِ كُلِّهِ مِنْ أَجْلِهِمْ». فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ. رُبَّمَا نَقَصَ الْخَمْسُونَ بَارًّا خَمْسَةً. أَتُهْلِكُ كُلَّ الْمَدِينَةِ بِالْخَمْسَةِ؟» فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ خَمْسَةً وَأَرْبَعِينَ». فَعَادَ يُكَلِّمُهُ أَيْضًا وَقَالَ: «عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ أَرْبَعُونَ». فَقَالَ: «لاَ أَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ الأَرْبَعِينَ». فَقَالَ: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ. عَسَى

أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ ثَلاَثُونَ». فَقَالَ: «لاَ أَفْعَلُ إِنْ وَجَدْتُ هُنَاكَ ثَلاَثِينَ». فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عِشْرُونَ». فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعِشْرِينَ». فَقَالَ: «لاَ يَسْخَطِ الْمَوْلَى فَأَتَكَلَّمَ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ. عَسَى أَنْ يُوجَدَ هُنَاكَ عَشَرَةٌ». فَقَالَ: «لاَ أُهْلِكُ مِنْ أَجْلِ الْعَشَرَةِ»". (سِفْرُ التَّكْوِينِ ١٨ : ٢٢-٣٢)

ويقول القرآن الكريم في هذا الصدد ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(الذاريات:٣٧). لقد ذكّرني عددُ العشرة بهذه القصة. فكم من المؤسف إذا لم نجد حتى عشرة من العلماء. هذا موقف يبعث على البكاء والابتهال والتضرع كثيرًا، لأن الدين يصاب بالضعف إذا افتقد العلماء. أما أنا فأدعو الله كثيرا ليسدّ هذا الخلل ويزيل هذا النقص.

هذا الاقتراح الذي قدمتُه إنما استنتجتُه مما أمر به القرآن الكريم؛ حيث قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ﴾ (التوبة:١٢٢) فلا يمكن أن يجتمع المؤمنون كافةً في آن واحد في مكان واحد، لذا قد قال: ينبغي أن يحضر بعضُ الرجال من كل منطقة ليتعلموا الدين من النبي ﷺ، ثم يعودوا إلى أوطانهم ليعلّموهم الدينَ بقدر ما قد تعلَّموا. فهذه الآية القرآنية تدعم اقتراحي الأول، أو بتعبير آخر؛ فإن

اقتراحي الأول مستمد من التوجيه القرآني. أما الاقتراح الثاني فهو الآخر مستمد من القرآن الكريم؛ فقد ورد ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٥)، فهذه الآية تدل على وجود جماعة من المؤمنين التي يكون شغْلُها الشاغل هو التبليغ.

تعليم الشريعة والأحكام

وتلي هذه الأمورَ مهمةُ تعليم الشريعة والأحكام؛ فما دام القوم لا يطِّلعون على الشريعة ولا يعرفون ما يجب عليهم، فإن إصلاح الأعمال يصعب عليهم، لذا فمن مهمات الخليفة أن يعلِّم الشريعة والأحكام. لقد ساءني أن رأيت رجلا يُقدِم على البيعة ولا يعرف كيف ينطق بالشهادتين، فمن الضروري أن لا يبقى أحد أفراد الجماعة غير ملم بأمور الدين الأساسية. فلا بد من التدبير لتعليم حكام الشريعة. وهذه المهمة يمكن أن توكل إلى الدعاة والوعّاظ ليعلِّموا القوم المسائل الأساسية للدين، ولقد رأيت أناسا من سادة القوم لا يعرفون كيف يصلّون، ومن المؤكد أنهم لا يعرفون؛ إذ تصدر منهم أحيانا تصرفات غريبة، هنا يمكن أن يقول أحد إن التركيز على هذه الأمور عبث، فأجيبهم: لِمَ قال الله تعالى:

﴿يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾؟ فهذه المسائل من الأهمية بمكان، وأنا أستطيع بفضل الله أن أبيِّن حكمة كل واحد منها. ولقد لاحظتُ أن حضرة المسيح الموعود الطَّيْلا كان من دأبه أن يغيِّر الجوارب إذا حصل فيها ثقبٌ صغير فقط، بينما أرى الآن أناسا يمسحون على جوارب ليس لها عقب، وهي مثقوبة من الأمام أيضًا، فما سبب ذلك يا ترى؟ ألا إنما السبب عائد إلى عدم اطّلاعهم على أحكام الشريعة، ولقد لاحظتُ أن أغلبية الناس لا يميزون محل الرخصة من الوجوب والجواز.. لقد حكى لي أحد الأصدقاء نكتة وهي أنه رأى شخصا يرتدي رداءً مطرز الطرفين بالحرير، وهذا الجزء المطرز كان عريضا، فقلت له بأن لبس الحرير ممنوع على الرجال المسلمين، فسألني: أين ورد ذلك؟ فلما قلت له: إني قد سمعت من أمثالك- يا شيخ- بأن عرض الحرير يجب ألا يزيد على أربع أصابع، قال: هذه الأصابع الأربعة ليست لعامة الناس، وإنما أصابع سيدنا عمر رضي الله عنه التي كانت تساوي شبرا من أشبارنا عرضًا. فهكذا يخترع المرء من عنده أحكاما خيالية. إن هذا؛ هو مقام الخوف، فيجب اجتناب ذلك، وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الإنسان يعرف حدود أحكام الشريعة، ويكون في قلبه خشيةُ الله، فلا تحسبوها أحكامًا صغيرة بسيطة لا حرج في عدم المبالاة بها، فهذا خطأ فاحش. فالذي لا يتمسك

بأصغر الأوامر لا يقدر على الامتثال لأكبر الأوامر، فإن أحكام الله كلها كبيرة، لأن أوامر الكبير تكون دوما كبيرة، وإن الأحكام التي يحسبها الناس صغيرةً، فإن التهاون فيها وإهمالَها يؤدي أحيانا إلى الكفر، وإن الله قد أمر بأمور صغيرة جدًا، لكنها لا تقل عظمة عن سواها. إن قصة طالوت مذكورة في القرآن الكريم، حيث قال لقومه ﴿إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْه فَلَيْسَ مِنِّي﴾ (البقرة: ٢٥٠)، وهنا أن يمكن أن يقول شخص ذو خيال سطحي: أي جريمة في شرب الماء؟ غيرَ أن الله كان يقصد منه تعليمَ الطاعة؛ إذ كانوا ذاهبين للقتال فأمرهم بأمر بسيط ليختبرهم، إذ كيف يمكن أن يطيع في ساحة القتال غيرُ المستعدّ للاستجابة لأمر بسيط؟ على كل حال، فإن الحِكَم تكمن في جميع أوامر الله تعالى، فإذا عمل بها الإنسان، فإن الله يوفِّقه للإيمان، ويفتح له أبواب فضله. (وهنا، يبدو أن حضرته ﷺ قد لاحظ بأن الوقت قد تأخر، فقال للحاضرين): لا تضطربوا؛ فقد كان النبي ﷺ يطيل الخطاب إذا اقتضت الحاجة، فأريد أن أشرح لكم جميع الأمور التي من أجلها قد دُعيتم، ثم تابع قائلا: فأحكام الشريعة تكمن فيها حِكَمٌ إذا لم يطَّلِع الإنسانُ على مغزاها ولبِّها فإن الأحكام الأصلية تُفلت من يده أحيانًا، ومن ثَمَّ تنشأ الغفلة والتكاسل، وذلك مثلما اقترح أحد المثقفين بأنه يجب أن

تكون الصلاة بالجلوس على كرسي أو مقعد، لأن الجلوس في القعدة يخرب البنطال، بينما قال الآخر: يجب أن لا يكون هناك وضوء، لأنه يُفسد الأكمام والأكفّ، فإذا آل الأمر إلى هذا الحد، فمن المحتمل أن يُحذَف الركوعُ والسجود من الصلاة في يوم من الأيام، فلو كان عندهم شخص يعلِّمهم الحكمة، ويخبرهم حقيقة الصلاة، ويُطلعهم على فوائد الوضوء، ويكشف عليهم حِكَم الركوع والسجود؛ لما تعرض الإسلام لمثل هذه النكبة، ولما ودّع المسلمون دينهم. فالمسلمون لم يبذلوا الجهود لتعلُّم حِكَم أحكام الشريعة، مما أدى إلى ارتداد عدد كبير منهم، ولو وُجد عالِمٌ أفهمهم بهذه الحكم، لما تفشى فيهم الإلحاد والارتداد.

فصاحبُ هذا المكان الذي يقوم عليه المسجد، والذي كان في السابق منـــزلاً يملكه مرزا إمام الدين - وهو ابن عم سيدنا المسيح الموعود عليه السلام- كان ملحدا. وذات يوم سأله سيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه: هل خطر ببالك يوما أنه ينبغي الانتباه إلى الإسلام؟ فقال: "أنا منذ الطفولة سليم الفطرة، إذ كان ركوع الناس وسجودهم في الصلاة يثير ضحكي؛ بما يفعلون." تعرفون لَمَ حدث ذلك؟ لأنه لَمْ يعلِّمْه أحدٌ الحكمةَ، ولم يشرح له شرائع الإسلام، ولم يُطْلعْه على حقيقة شرائع الإسلام، مما أدّى إلى الإلحاد. فمن مهمة الخليفة أن

يعلِّم الحكمة، ولما كان لا يستطيع هو بنفسه الوصولَ إلى كل مكان، تعيَّن أن تكون هناك جماعةٌ تقيم عنده فترة من الزمن لتتعلم منه حدود هذه الشرائع والحِكم ثم تُعلّمها لمن هم دونها لئلا يَضِلَّ الناس، فالحاجة ماسَّة لهذا المشروع في الوقت الراهن، لأن الناس تزداد ثقافتهم نتيجة الدراسات الحديثة. ولقد اعترض المسيحيون على الإسلام أنه ضمّن العباداتِ الأمورَ الماديةَ، وبما أنهم غير مطلعين على حقيقة الشريعة، فإنهم يُضِلُّون الآخرين، فثمة حاجة لتعيين الوعاظ والدعاة الذين مهمتهم أن يعلِّموا الناس الشرائع ويُطْلعوهم على حكمتها.

كتاب تعليم العقائد

وعلاوة على ذلك ثمة أمر مهم آخر كان حضرة المسيح الموعود عليه السلام مهتمًّا به كثيرًا ويُولِيه اهتمامًا ملحوظا، لكن الناس نسُوه، إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم ذكَّرَهم إيّاه سيدُنا الخليفة الأول في عهده فنسُوه مرة أخرى، والآن أنا أذكِّرُكم به، وإن شاء الله سأتذكَّره وسأظل أذكِّركم به حتى يوفِّقَني الله بفضل منه لإنجازه؛ ألا وهو أنني سمعت مرارًا من حضرته يتحدث عن أمنيته في إعداد كتيِّب يضم

معتقدات الجماعة، فإذا تمَّ إعداد هذا الكتاب فسوف تزول الخصومات والنـــزاعات اليومية من بين أفراد الجماعة.

أودُّ أن أشكِّل مجلسا للعلماء وأعهد إليه أن يؤلِّف كتابا - بعد استيعاب جميعِ كُتُب سيدنا الإمام المهدي عليه السلام وفي ضوء قراءة شاملة لجميع خطبه عليه السلام - يتناول عقائد الأحمدية ثم ينبغي نشرُه، وإذا صدر هذا الكتاب فسوف يقضي على كافة الحوارات والنقاشات اليومية - مثل الحوار حول الكفر والإسلام - في الوقت الحاضر. لكننا في غياب كتاب شاملٍ وموثَّق نلاحظ ظهور النـــزاعات المختلفة يوميا؛ فأحَدُهم يقول بأن حضرة الإمام المهدي كان أفضل من المسيح الناصري، ويقوم الثاني ليفنِّده، وسببُ ذلك يعود إلى عدم المعرفة، أما إذا صدر هذا الكتاب الشامل بعد دراسة شاملة لعلماء الجماعة، فسوف يقتنيه الجميعُ، ولن ينشأ أيُّ خلاف بخصوص معتقدات الجماعة إن شاء الله.

سنّة النبي ﷺ في الوعظ

كان من عادة سيدنا محمد ﷺ أن يلقي وعظًا موجزًا، لكن حدث أحيانًا أن أطال خطابَه حتى دخل وقت الظهر، فصلى ثم استأنف الخطاب بعد الصلاة حتى حانت صلاة العصر فصلَّى،

ووعْظي اليوم يبدو اقتداءً بسنته، فقبل خروجي إلى هنا دخلتُ إلى بيت الدعاء، ودعوت الله أن لا يَخرج من فمي ما ليس من الرشد والهُدى، وأن يوفقكم لقبوله، وأرى أن الوقت قد تأخر، وأريد أن أمسك بزمام نفسي، لكن الأفكار والأحاديث ترِدُني فأضطرُّ للتكلم، فأنا مضطر أن أتكلم إيمانًا مني بأنه نتيجةُ الإرادة الإلهية ودعائي. فغاية القول: إن تعليم الكتاب يتطلب تأليفَ مثل هذا الكتاب، وفي حالة انعدامه نواجه مشكلة أنّه لو قرأ أحدهم كتاب "ترياق القلوب" فقط، واستنتج منه فكرةً اتخذها موقفًا دون أن يطِّلع على كتاب حقيقة الوحي، وجاء آخر قد قرأ كتاب حقيقة الوحي فقط واتخذ موقفه على ما ورد فيه فحسب، وما فهِم منه ليجادل الأول، ويأتي ثالثٌ قد قرأ جميع إعلانات سيدنا الإمام المهدي عليه السلام التي تقدَّر بأكثر من ١٨٠ إعلانا ويتكلم وفق معلوماته. فمثلا؛ ما كنت أعرف حتى الآن عدد هذه الإعلانات بالتحديد، واليوم قد عرفت أن عدد الإعلانات قد وصل إلى هذا الحد، فسأقرأ الآن أنا أيضًا كل هذه الإعلانات إن شاء الله.

فهناك حاجة إلى جماعة من العلماء يقرأون كتُبَ سيدنا الإمام المهدي عليه السلام، ثم يضعون في ضوئها موقفًا موحَّدا عن معتقدات الجماعة في كتاب، ثم يزوَّد أبناء الجماعة بكل تلك المعتقدات

ليقرأوها ويعوها، وعندها سوف يختفي نهائيا هذا الاختلاف الذي ينشأ حول المعتقدات، وستكون للجميع عقيدةٌ واحدة إن شاء الله تعالى، وإذا حصل اختلاف فسوف يكون بسيطا جدا لن يؤدي إلى افتراق الجماعة كما حصل الآن. وإنني أقول بأن الخلاف الذي ظهر الآن هو الآخر ليس بسبب اختلاف المعتقدات، وإنما اتخذوا قضية التكفير ذريعة للخلاف، وإلا فما علاقة كون غير الأحمدي كافرًا بالخلاف الدائر حول الخلافة؟ هل سيرضى هؤلاء المعترضون بالخلافة لو حُلَّ هذا الإشكال؟ كلا لن يفعلوا، وإنما أثاروا هذه القضية ليكسبوا تعاطُف غير الأحمديين، وليثيروا مشاعر بعض الأحمديين البسطاء. هل من المعقول مثلاً أن يتشاجر الزوجانِ أو الأخوانِ بسبب خلافهما حول مذهب الجيران ويتفرقا؟ كلا، الواقع أن هؤلاء اتخذوا هذه المسألة مبررًا لخلافهم معنا.

طموحي

إنني أطمح في أن تتحقق جميع هذه الأمنيات في عهدي، فهي ضرورية جدا للوحدة ولمّ شمل الجماعة، وإني لآمل أنها ستتحقق بإذن الله، فإنّ ثقتي في ربي لكبيرة، فسوف يتوَفر تعليم أحكام

الشريعة، وسنعلِّم مسائل الحكمة أيضًا، وسنستمد كل هذه الأمور من القرآن الكريم إن شاء الله.

تزكية النفوس

تلي هذه الأمورَ تزكيةُ النفس، وكما سبق أن قلت: إننا نستشفُّ من ترتيب القرآن الكريم وسورةِ البقرة أن أكبر سلاحٍ ماضٍ غيرَ مخطئ لتزكية النفوس هو الدعاء، فسورة البقرة - التي تفيد بأن من مهمات النبي ﷺ التزكيةَ- أنهاها اللهُ بالدعاء، والصلاةُ هي الأخرى تنتهي ببعض الأدعية، فأول وسيلة لتزكية النفوس هي الدعاء حصرًا. وإنني بفضل الله المحض أدعو الله كثيرا، وأركز على الدعاء كثيرا، فاستعينوا بالدعاءَ أنتم أيضًا، وفَّقكم الله لذلك أكثرَ. ولا يغيبن عن البال أن دعواتي تختلف عن دعواتكم تأثيرًا، فمثلما هناك تفاوت في الدرجات بين تقارير المحافظ والوزير ورئيس الوزراء، كذلك فإن الذي يقلِّده الله ﷻ منصبَ الخلافة يزداد قبولاً واستجابةً لدعواته، وذلك لأنه إذا لم تظفر دعواتُه بالقبول، فإن ذلك يمسّ انتخابه هو. فادعوا لي أن أوفَّق لأدعو لكم أكثر وأن يُزيل ﷻ كل كسل فينا ويولد فينا النشاط. وإن الدعاء الذي أقوم به سيكون أقوى تأثيرًا من دعاء كلِّ واحدٍ منكم. ولقد بيَّن أحدهم قولا لطيفا

بخصوص تزكية النفوس، وهو أن هذه الأمور الثلاثة - المذكورة في الآية سابقا قبل التزكية - تؤدي إلى التزكية، أي بعد تلاوة القرآن المجيد وتعليم الكتاب والحكمة؛ ستتزكى الجماعةُ تلقائيًّا.

وهناك وسيلة كبيرة لتزكية النفوس بيَّـــنها سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام وإني أومن بأنها عين الصواب، وكل حرف لهذا القول حقٌّ، وهو أن الذي لا يزور قاديان، أو قلما يزورها، أو لا يتمنى الهجرة إليها على الأقل؛ فإنه يُشكُّ في إيمانه، وكان حضرته يقول عن عبد الحكيم (المرتد عن الجماعة): لم يكن يزور قاديان. ولقد قال الله عن قاديان "إنه آوى القرية" (حقيقة الوحي) ومن عين الصواب أنه تنـــزل هنا البركات مثل بركات مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضًا يقول: إن أرض قاديان حائزة على التقدير الآن، وبسبب توافد الخلق إليها بكثرة، قد أصبحت شبيهة بأرض حرم.

وحيث إن الله تعالى قد وعده عليه السلام "إن الملوك سيتبركون بثيابك"، لذا؛ أَفَلَن تنـــزل البركات على المكان الذي وُلِد فيه والأرض التي كان يطأها ودُفن فيها أخيرًا؟

وحين وعد اللهُ رسولَه الكريم ﷺ أن الدجال لن يتمكن من دخول مكة، فهل كان ذلك بسبب تلك القطعة من الأرض؟ كلا! وإنما لأن سيدنا محمدًا رسول الله ﷺ قد بُعث فيها. إنني أقول لكم

صدقا وحقا: إن الله تعالى قد أخبرني بأن أرض قاديان مباركةٌ، ولقد رأيت شخصا يدعى عبد الصمد يقول قائمًا: "طوبى لكم يا جماعة قاديان الفقيرة، فإن بركات الخلافة ورحمتها تنــزل عليكم". ومِن عين الصواب أن زيارةَ الأماكن التي عاش فيها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام تولِّد في القلوب رقّةً وخشوعا وتبعث على الدعاء، ولهذا يجب أن تُكثروا من زيارة قاديان قدر الإمكان. ثم إن الدعاء يقتضي العلاقة بين الداعي والمدْعُوِّ له، ولقد لاحظت دأب حضرتِه عليه السلام - أما سيدنا الخليفة الأول فكان يجتنب وأنا الآخر أجتنب - أنه كان يقول لمن يلتمس منه الدعاء: "ينبغي أن تَنذر نذْرا ما، أما أنا فسوف أدعو لك." وذلك لكي تتوثق العلاقة به. وفي هذا الصدد روى حضرته مرارًا الحكاية التالية: ذات يوم ذهب شخص إلى رجل صالح يلتمس منه الدعاء له للعثور على الورقة الرسمية التي قد ضاعت منه والتي تُثبت أن البيت الفلاني مِلك له، فقال له: سأدعو لك بشرط أن تُحضِر لي الحلوى أولاً. فاستغرب لحظةً من هذا الطلب، ولكن لما كان بحاجة إلى الدعاء فقد مشى إلى محل الحلويات ليشتري الحلوى، وحين تناول البائع ورقةً وأراد قطعها ليضع له الحلوى عليها، صاح الرجل والتمس منه أن لا يقطعها، فإنها هي الورقة التي كان قد طلب من الشيخ الدعاءَ للعثور عليها، ثم حين جاء إلى

الشيخ بالحلوى وأخبره أنه قد وجد الورقة، قال له الشيخ: أنا لم أقصد من طلب الحلوى غير إنشاء العلاقة التي تدفعني للدعاء بحماس. فغاية القول إن الدعاءِ تلزمه العلاقةُ، وفي هذا الصدد أكتفي بالقول أن تذكَّروني على الدوام عبر الرسائل، لأذْكركم في دعواتي ولِتَبقَوا في بالي دوما.

والآن نتناول معنى آخر للتزكية، وهو الذي يشمل الاعتناء والاهتمام بالفقراء والمساكين. فالناس الفقراء لا يعرفون هل أملك شيئا أم لا، وإنما يعرفون أنني أصبحت خليفةً، فهُم يأتونني طلبا للمساعدة. والمعروف أن الذي يتقلد رئاسة شعب، فإن ذوي الحاجة يقصدونه، لذا؛ قد وكَّلَتِ الشريعةُ نظام الزكاة إلى الخليفة، فلْتُدفعْ أموالُ الزكاة كلُّها له ليوزِّعها على الناس ذوي الحاجة، فلما كانت من فرائضي أن أُزيل ضعف الضعفاء، لذا يجب عليكم أن تساعدوني في ذلك. نحن لم نتخلص بعد من تسوية بعض القضايا التي تُهمّنا، وقد وردتْني مئات الطلبات وعليّ أن أتدبّرها، وكما قلت لكم سابقا بأنه قد وُكِّلتْ لي مهمة إزالةُ ضَعف الضعفاء من كل نوعٍ سواءً أكان ضعفا بدنيا أم اقتصاديا أم عقليا أم علميا، وهذا يتطلب المتاعَ والمال. ولتغطية مثل هذه النفقات يجب تنشيط نظام الزكاة، فقررت أن تُسَدَّدَ هذه النفقاتُ من الزكاة. وقد اقترحتُ فيما سبق على

سيدنا الخليفة الأول ﵁ - إذ كنت صريحًا معه وكنت أناقشه لساعاتٍ، لكن بعد أن انتُخب خليفة لم أكن أتجاسر على الجلوس عنده متربعا احتراما له، وهذا كان يؤلمني، لكن ما كنت أتجاسر وما كنت أرفع الصوت في حضوره - في رسالة أوصلتها إليه: يجب أن تأتي أموالُ الزكاة إلى الخليفة؛ إذ كان العُشرُ في الماضي يأتي إلى الخليفة، لكن الوضع هنا يختلف. فوافقَ وقال لمن أوصل إليه رسالتي: لا بأس! فلتدفعْ لي زكاتَك. هذا الذي أراه صوابًا؛ فمن مذهبي في هذه المسألة أن الزكاة يجب أن تُجمع عند الخليفة..

لذا يجب أن تكون عند هيئاتكم المحلية ومجالسكم الإدارية سجلاتٌ يُسجَّل فيها دخْلُ جميع أفراد الجماعة بعد التأكد، والذين بلغتْ أموالهم النصاب فليدفعوا الزكاة بعد إجراء الحسابات، ولْتسجَّل التفاصيلُ في سِجلاتِ المجلس الإداري مباشرةً، ولْيُرفَعْ إليَّ، ويجب أن يكون لكل واحد حسابٌ منظَّم. غير أنه من الضروري أنه إذا كان لدافع الزكاة أقارب يستحقون الزكاة، فليرسلوا قائمة أسمائهم إلى هنا لهذا الغرض، ومن ثَم سنرسل لهم المساعدة من هنا، أو سوف تُصدَر الأوامر بالدفع لهم من الجماعة المحلية. على كل حالٍ يجب أن تُجمَع أموال الزكاة في مكان واحد، وتُنفَق حسبَ أوامرِ الخليفة. وإنني على يقين بأنه إذا فُتِحت السجلات بشكل

منظَّم وبُذلت المساعي لجمعها، فستُجمع في هذا الصندوق آلاف الروبيات، بل إنني على ثقة تامة بأن دخْل هذا الصندوق سيزيد خلال أيام على مائة ألف روبية، ويجب التركيز الشديد على هذا. سوف أنشر كتيبا يضم جميع مسائل الزكاة، أما أنتم فيتعين عليكم إنشاء السجلات وفتح الحساب بصفة رسمية وبشكل منظم، واجمعوا الزكاة ببذل الجهود وبمنتهى الحذر، ولْترسَل إليَّ جميع أموال الزكاة تلك. وهذا هو رأيي في الموضوع.

التطوير العلمي

لقد أخبرتُكم فيما سبق بأن التزكية تتضمن معنى التشجيع والتحريض والحث والتربية، وتتضمن التقدُّم والتنمية القومية بما فيه التطور العلمي. وهذا يشمل مشروع إنشاء المدرسة الانجليزية والشؤونَ الأخرى لنشر الإسلام. وإني لأرى أن فتح مدرسة واحدة هنا فقط، لا يكفي؛ فثمة حاجة لفتح مدارس أخرى في الأماكن المختلفة الأخرى علاوة على هذه المدرسة المركزية، إذ لا يسع الفلاحين إرسالُ الأولاد إلى هنا، وتعليمُهم أيضًا من واجباتي، وإني لأرى أن تُفتح في البداية مدارس ابتدائية في الجماعات الكبيرة تكون تابعة لهذه المدرسة المركزية.

يجب ألا يبقى أي فرد من أبناء الجماعة - رجالا ونساء - يجهل القراءة والكتابة. إن صحابة النبي ﷺ بذلوا جهودا كبيرة في مجال التَّعلُم ونشر العلم، كما قد قرَّر رسول الله ﷺ مرةً أن يفتدي أسرى الحرب بتعليم أولاد المسلمين. وعندما أرى الفضل الذي جاء به رسولُ الله ﷺ تفيض روحي حبًّا له، إذ لم يترك أي فراغ وقد أرشدَنا في كل مجال، ثم إن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وخليفته الأول رضي الله عنه - اقتفاءً بآثار أقدامه ﷺ - وجَّها أنظارنا إلى كل أمر قد يفيدنا في كل ناحية في مناحي الحياة.

وغاية القول: يجب أن تُفتح للتعليم العام مدارس ابتدائية بادئ ذي بدء. ولْيعلَّم القرآن المجيد في كل هذه المدارس، ولْيعلَّم الدينُ عمليًّا ويلقَّن التمسكُ والالتزامُ بالصلاة. إن المؤمن من شأنه ألا يتخلف عن الآخرين في أي مجال، لذا يجب أن لا نترك أفراد الجماعة متأخرين عن الآخرين في التعليم العام. وإذا فتحنا المدارس الابتدائية لنيل هذا الغرض، فقد تقدِّم لنا الحكومةُ أيضًا مساعدة.

التقدم المادي للجماعة

بمحاذاة التقدم العلمي للجماعة فإن مسألة التقدم المادي للجماعة هي الأخرى جديرة بالاهتمام والتفكير، فأفراد الجماعة

يجب أن يُصانوا من السؤال والفقر، ومن مسؤولية الوُعَّاظ الذين يرسَلون إلى المناطق المختلفة لتعليم الشرائع أن يولوا التقدم المادي للجماعة أيضًا اهتماما واضحًا، ويرسلوا تقاريرهم إلى هنا فيما إذا كان الأحمديون متهاونين متكاسلين، وإذا وُجِد في مكان أي أحمدي متكاسلا، فليسترعوا انتباهه إلى التجارة والعمل، ويرشدوه إلى مختلف الحِرف والمِهن والصناعات، وإذا تلقينا أمثال هذه التقارير بانتظام، فسوف يمكن لنا التدبير والسعي لإصلاح الأحوال وتدارك الوضع.

ثمة حاجة للعمل

وحين فكرت في هذه القضايا وجدت هذا الميدان واسعا جدا، وأصابني الوجل وقلت في نفسي: لقد تكلمتَ كثيرا، فإذا حصل القصور في العمل فماذا يحدث؟ وعلى الطرف الآخر دار بخاطري بأنني إذا تسرعت وتنشطت فثمة مشاكل من نوع آخر. ثم حين أمعنت النظر في خلافة سيدنا عمر وعثمان رضي الله عنهما؛ تكشَّف لي أن سيدنا عمر كان يطَّلع على الأوضاع بالتجوال في المدينة، وإن الذين يقولون بأن سيدنا عثمان رضي الله عنه قد قصَّر، فهم كاذبون؛ إذ كان سيدنا عثمان رضي الله عنه شيخًا هرمًا لا يستطيع إنجازَ ما

كان يستطيعه سيدنا عمر ﷺ. ولقد استعرضتُ أحوالي فوجدتُني فقيرا عديم الحيلة، فقلت في نفسي إن الله الذي ألقى في قلبي هذه الأمور لإصلاح أفراد الجماعة هو الموفِّق، وإذا وفَّقني فسوف يوفِّق أصحابي أيضًا.

غاية القول

لا بدَّ من فتْح المدارس لإحراز التقدم المادي، ولْيُولِ الوعاظ خلال جولاتهم الاهتمامَ فيما إذا كانت الجماعات يتزايد عددها أو ينقص، وما هو التطور في الأوضاع العلمية والمادية الدنيوية، وما هي حالة الجماعة في الالتزامات العملية، وما مدى تقدمهم في مجال التآخي والتوادّ، هل ثمة نزاعات وخصومات فيما بينهم، هذه الأمور كلها لا بد أن يضعها الوعاظُ بعين الاعتبار، وليرسلوا إليَّ تقارير مفصلة بهذا الصدد بانتظام.

الحاجة لإقامة الكلية

وعندما تُفتح المدارس في الأماكن المختلفة، فسوف نحتاج إلى أن تكون لنا كليةٌ خاصةٌ أيضا. وكان سيدنا الخليفة الأول هو الآخر يتمنى ذلك؛ إذ في أيام المدرسة يُبنى السلوك الإنساني على شكل هيكل فقط، أما البناية وكسوتها، فإنما يتم في أيام الكلية، فمن

الضروري أن نفتح الكلية الخاصة لجعل حياة الشباب مفيدةً ومؤثرة. فضعوا نصب أعينكم هذه المسألة وتدبَّروا أنتم أيضًا، وأنا بدوري سوف أفكِّر في الموضوع. هذه هي أعمال الخليفة التي بيَّنْتُها لكم باختصار، وإذا توسعتم فيها ودرستم جوانبَها المختلفة، فسوف يتبين لكم حقيقة الأنجمن وما هي حقيقة الخليفة. أقول لكم بقوة وأؤكد لكم بأن ليس ثمة أي أنجمن يتصف بهذه الصفات ولا يسعها أن تدَّعي بمثل هذه الأمور ولا يمكن أن تكون، وما أرسل الله أي أنجمن قطُّ فيما مضى.

نقاش الأنجمن والخليفة

يقول البعض إن الخليفة اغتصب حق الأنجمن، ثم يقولون: هؤلاء هم الشيعة. إنني أتأسف عندما يتناهى إلى سمعي هذه الأمور. ماذا أصابهم؟! يقولون لماذا نال الابنُ الخلافةَ؟ وأنا أتساءل باستغراب وتعجب: هل كونُ أحد ابنَ وليٍّ أو نبي جريمةٌ لا تغتفر لدرجة أنه لا يبقى جديرا بأي حظ من فضل الله، وغيرَ أهلٍ لتقلُّد أي منصب؟ وإذا كان ما أقوله صحيحا فإنّ كون المرء ابنًا لوليٍّ أو نبي يشكِّل لعنةً لا بركة، والعياذ بالله! فهل عبثا كان الأنبياء يدعون أن تكون لهم ذرية؟ وهل عبثا تنبأ النبي ﷺ بأن المسيح الموعود سيتزوج ويولد

له؟ أفلم تكن وعود الله ﷻ مع سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بالبركة والعياذ بالله؟ وأن ما وعَد به الله ﷻ المسيحَ الموعود لم يكن وعد بركة؟ إذا كان توارُث الابنِ يعتبر اتباعا أعمى للشيخ، فهذا يعني أن أولاد الشيخ يجب أن يُهانوا لئلا يُتهموا باتباع الشيخ اتباعا أعمى، وفي هذه الحالة لأي مدى يمكن اعتبارُ دعاوى إكرامهم واحترامهم لهم صحيحةً؟

فهذا مقام الخجل والحياء فتدبروا وتفكروا، أقول لكم بصراحة بأني لم أكن أرغب في هذا قط، ولم تكن لديّ أي رغبة في تقلد هذا المنصب، ثم إذا كنتم بايعتموني بصفتي سيئا، فاعلموا أن مثلكم كمثل الذين يتبعون مشايخهم اتباعا أعمى، لكن إذا كان الله هو مَن أخضعكم لي، فلا دخْل لأحد فيه، ولا يهم ذلك أحدًا. إن القول بأني قد غصبت حق الأنجمن لَقول كبير؛ أفلا تعرفون أن الله كان قد وعد المسيح الموعود عليه السلام بأن يحقق جميع أمنياته؟ والآن؛ إذا كان حضرته عليه السلام في حد زعم هؤلاء يريد أن يرثه الأنجمن، ولم تكن فكرةُ الخليفة في باله كما زعمتم فأخبروني، إذًا؛ أفلا تُثبتون بقولكم هذا أن الله لم يحقق أمنيته هذه؟ نعوذ بالله من ذلك.

أخبِروني بعد تفكير مَن هم الشيعة؟ فالشيعة أيضًا يقولون بأن الرسول ﷺ كان يريد أن يكون علي رضي الله عنه خليفته، ولم يخطر أبو بكر

وعمر وعثمان على باله قط، فكما غيّر الناس مشيئة النبي ﷺ في مسألة الخلافة حسب معتقداتهم، فهذا ما حصل الآن أيضًا. يا للأسف! أليس في قلوبكم أي احترام وعظمة لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام حتى تقولوا بأن مشيئته لم تتحقق والعياذ بالله؟ اتقوا الله وتوبوا.

ثم يتجولون بكتاب وينشرون صوره - وهذا أيضًا نموذج لاعتراض الشيعة حول القرطاس- حيث يقولون إن سيدنا عمر رضي الله عنه حال دون إحضار القرطاس، فلو أُحضرَ لحَكَم في خلافة سيدنا علي رضي الله عنه. وهؤلاء يقولون: يا للأسف، لقد ترك عليه السلام مكتوبا على قرطاس، لكن لا أحد يقبله. فأخبروني مَن هم الشيعة إذًا؟ أقول: لو أُحضرَ القرطاس، ما الذي كان سيحدث؟ فما كان سيحدث غير ما حدث، إن النبي ﷺ لم يُملِ وصيته، فسنح للشيعة أن يعترضوا على الخليفة الثاني، وهنا قد كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام (الوصية) فاستغلوها في إثارة الاعتراض على خليفته الثاني.

تذكروا أن المسيح الموعود عليه السلام جاء ليدحض الاعتراضات المثارة ضد النبي ﷺ، فمثلا كان الأعداء يعترضون بأن الإسلام انتشر بحد السيف، فجاء المسيح الموعود عليه السلام وأثبت بسلوكه أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف، وإنما انتشر بتعاليمه الساطعة وآياته المشرقة،

كذلك تجلت حقيقة القرطاس. اسمعوا، أي قيمة للقرطاس مقابل الله تعالى؟ وأقول لكم بجلاء إن القرطاس لا يمكن أن يكون مناقضا لمشيئة الله.

كان سيدنا خليفة المسيح الموعود يقول: جاء أحد الشيعة إلى أحد أساتذتي ووضَع أمامه أحدَ كتب الحديث مفتوحا، فقرأ حضرتُه من الكتاب وسأله ماذا يقصد؟ فقال: مِن هذا الحديث تبدو مشيئةُ الرسول ﷺ أن يكون سيدنا علي بعده خليفةً. فردَّ عليه بكل رصانة وقال: نعم، كان رسولُ الله ﷺ يريد ذلك، لكن الله سبحانه وتعالى أراد غير ذلك، فلم تتحقق مشيئته ﷺ!

ومرة أخرى أقول أنا حول هذا القرطاس: إذا قال لي أحدهم مثل هذا الكلام، فسوف أجيبه أن كتاب "حقيقة الوحي" يتضمن وعدا بخليفةٍ كما قال حضرته عليه السلام: "خليفة من خلفائه"، فاعتراض الغصب سخافة وكلام فارغ.[٢] كان حضرته عليه السلام تلقّى من الله –

---

[2] جاء هذا في كتاب "حمامة البشرى"؛ حيث ذكر حضرته عليه السلام الأمر في معرض تفسيره لنـــزول المسيح عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، حيث قال بأن النـــزول قد يعني نزول المسيح أو خليفة من خلفائه شرقي دمشق. وقد تحقق هذا حرفيا عندما نزل الخليفة الثاني رضي الله عنه بنفسه في شرقي دمشق لدى زيارته لبلاد الشام في العشرينات من القرن الماضي. (المترجم)

باللغة الفارسية - وحيًا معناه "لقد سلمت لك نفسي وجُلّ ما لي فأنت أدرى بما قدّمت وما أخّرت."

إنكم تعتقدون أنه إذا اؤتمن إنسان شريف ونبيل فلا يخون، ثم هل تظنون أن الله الذي علَّم المسيح الموعود هذا الدعاء بنفسه قد خانَه في أمانته التي وكَّلها له؟ توبوا توبوا.

كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يتحلى بالتوكل لدرجة أنه قد تلقى هذا الوحي قبيل وفاته، وتزعمون أن الله تصرَّف تجاهه تصرفا عجيبا إذ ردّ أمانته إلى غير أهلها، ألا إن الله قد أراكم بتعيين الخليفة ما كان يجب وفق وحي "لقد وكلتُ بك كل متاعي" ثم أسألكم: هل الله يقود إلى الضلال؟ نعوذ بالله من ذلك. كلا، بل إن الله يرسل أنبياءه وخلفاءه ليطهِّروا الدنيا، لذا لا يمكن أن تجتمع جماعة الأنبياء على الضلال. وإذا كان الله تعالى قد أنشأ جماعة غير نظيفة قد أجمعت على الضلال -كما زعمتم- فسوف تكذِّبون بألسنتكم المسيح الموعود عليه السلام، فاتقوا الله!

لكن إذا كان المسيح الموعود من الله، ومن المؤكد أنه كان من الله، فتذكروا أن هذه الجماعة لا يمكن أن تجتمع على الضلال. لا يستطيع أي مسيح أن يناقض القرآن الكريم، وإني على يقين راسخ بأن مثل هذا المسيح لن يأتي، وكل من سيأتي فإنما سيأتي خادما

للقرآن الكريم لا حاكمًا عليه. هذا ما كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يعتقد ويؤمن به، وهذا هو تفسير قوله باللغة الأردية " هو ﷺ كل شيء، أما أنا فلست بشيء".

هذه حجة على العدو، وقد جاء المسيح الموعود ليثبت صدق القرآن الكريم لا ليُبطله والعياذ بالله، فقد أثبت بعمله أنه جاء لإثبات غلبة الكتاب الكريم.

إن القرآن الكريم يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٦٠)

ثم يتكلمون عن كيفية إدارة الخليفة الأمور الخليفة، لكن الله قد قرر، ولستم بحاجة إلى أن تفرضوا على الخليفة القواعد والشروط أو تُطلعوه على واجباته، وحيث أن الله قد أخبر عن أهدافه ومقاصده؛ فقد بيَّن أسلوب عمله، حيث قال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ أي أَقِم مجلسا للشورى، فاستشرْه ثم فكِّرْ ثم انصرف إلى الدعاء واثبتْ على ما ثبَّتك الله عليه حتى لو كان يخالف رأيَ الشورى، فسوف يعينك الله. هنا في هذه الآية يقول الله تعالى بأنك إذا عزمت فتوكل على الله ولا تخفْ وإن الله سوف يؤيدك وينصرك بنفسه، أما هؤلاء فيريدون أن لا يخالف الخليفةُ رأيَ

لفيف من الرجال مهما كانت مشيئته ومهما ثبّته الله على موقفه. ولقد قال المسيح الموعود عليه السلام في حق المصلح الموعود "سيكون حبيبا لي"، وهذا القول أيضًا يعني ذلك، لأن الله يحب المتوكلين، وإن الذي يخاف، لا يمكن أن يكون خليفة، لأنه يطمح في السلطة ويخشى أن يسخط منه أحدٌ إذا عارض رأيه، ومثل هذا الرجل مشرك، وهو يشكل لعنةً، أما الخلفاء؛ فإن الله سبحانه وتعالى يعيِّنهم، وهو الذي بنفسه يزيل مخاوفهم، لكن الذي يتبع على الدوام رأيَ الآخرين كالخدام، فأيُّ خوف يصيبه؟ وأيُّ خصلة من خصال الموحدين توجد فيه؟ أما الخلفاء فمن المسلّم به أن الله يقيمهم، وهو الذي يبدل خوفهم أمنا، وإياه وحده يعبدون ولا يشركون به.

إن نبوّة النبي لا تتضرر بشيء حتى لو لم يؤمن به أحد من الناس، فهو يبقى نبيا، وكذلك هو حال الخليفة؛ فهو يبقى خليفة حتى لو هجره الجميع، لأن الفرع تحت حكم الأصل. تذكروا جيدا أنه إذا كان أحد قد تمكَّن من الخلافة طمعا في السلطة، فهو كاذب، لكن إذا كان يعمل مأمورا من الله للإصلاح، فهو حبيب الله، حتى لو صار العالم بأسره عدوا له. ما ألطف الحكم في آية الشورى هذه!

ما قيمة الشورى إذا لم تقبل؟

بعض الناس يعترضون أنه إذا لم يكن من الضروري أن تقبل الشورى، فما الفائدة من الاستشارة إذًا؟ أليس ذلك لغوا؟ وهل يليق بالأنبياء والأولياء أن يتصرفوا لغوا؟ فأقول ردًّا على هذا التساؤل: إن الاستشارة ليست لغوا، بل من الملاحظ- ويحدث مرارا- أنْ يفكر شخص في شيء ويتوصل إلى نتيجة، وتخطر ببال صاحبه فكرةٌ أفضل. ففائدة المشورة تتمثل في أن يجد الإنسان سهولة في اتخاذ الموقف بعد الاستماع إلى مختلف الأفكار. فمن الملاحظ أن المرء حين يستشير أصحابه يظفر في أحيان كثيرة بخطة لم تكن في علمه. ومن المعروف أن الناس عادة يستشيرون الأصدقاء والزملاء في شؤون الحياة اليومية، لكنهم هل يقبلون كل مشورة؟ وهنا يمكن أن يتساءل المرء: إذا كانوا لا يريدون قبول المشورة، فلمَ يستشيرون إذًا؟ فأقول: إنهم يستشيرون طمعًا في الحصول على رأي أفضل، فليس الهدف من الاستشارة أن تُقبل كل مشورة لا محالة، وإنما الشورى ليجد الإنسان سهولةً في اتخاذ القرار في ضوء الآراء المختلفة المتنوعة. ولا يغيبن عن البال أن المخاطب في آية ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ هو المستشير، ولو كان للشورى قرار نافذ، لقال

الله تعالى "فإذا عزمتم فتوكلوا على الله" لكن الله استخدم في الآية صيغة المفرد، في أنه إذا عزم، فليتوكل على الله.. وأيضًا لم يذكُر هنا أغلبية الأصوات؛ فقد قال شاورْهم، ولم يقل: انظر إلى الأغلبية واستجبْ لرأيها، وإنما هذا الاستدلال من الناس، أما القرآن الكريم فلم يذكر الأغلبية، واكتفى بأمر المشاورة فقط، وقال: إن الرأي الذي عقدتَ عليه العزم - بعد الاستماع إلى أفكار وآراء مختلفة - فامضِ فيه قدما متوكلا على الله دون أن تخشى أحدًا.

أمعِنوا النظر الآن في جملة ﴿شَاوِرْهُمْ﴾ فهنا المخاطب واحد، أي المستشير واحد، والذين يُستشارون هم أكثر من اثنين، ثم هو مأمور بأن يدرس المشورة والآراء بجوانبها المختلفة، فإذا عقد العزم على قرار فلينفذه دون أن يكترث لأحد.

في تاريخ الإسلام نجد أن أحسن مثال لهذا العزم، كان في زمن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه؛ حيث أشير عليه عند ارتداد كثير من المسلمين أن يؤجِّل تسيير جيش أسامة رضي الله عنه، فقال: لا يسع ابنَ أبي قحافة أن يؤجِّل الجيش الذي جهَّزه سيدنا رسول الله ﷺ وكان قد قرر إرساله قبل وفاته، ثم سحب بعضا من الصحابة بما فيهم سيدنا عمر رضي الله عنه. وأقول لكم كان هذا لمصلحة.

وكذلك أُشير عليه أن يُعفي المرتدين من أداء الزكاة – لعلهم يرجعون عن ردهم، وخشية ارتداد غيرهم – لكنه قال: أنا لن أُعفيهم حتى العقال الذي كانوا يعطونه في زمن النبي ﷺ، ولو تركتموني جميعا وصارت وحوشُ الغابة وسباعُها مع المرتدين، فسوف أقاتلهم جميعا وحدي. فهذا مثالٌ رائع على العزم. ثم ماذا حدث؟ هل تعرفون؟ لقد فتح الله باب الفتوحات على مصراعيه. فتذكروا أن الإنسان حين يخاف الله، فلا يتطرق إلى قلبه أدنى رعب من المخلوق ولا يؤثر في قلبه أي تأثير.

مسألة الشرك

لقد فهَّمني الله سُبحانه وتعالى بفضله مسألة الشرك جيدا عن طريق الرؤيا، فقد رأيت في المنام أني ذهبت إلى "بهشتي مقبرة" وعند الإياب من هناك؛ رأيت محيطا خضمّا لم يكن وقت الذهاب، ورأيت فيه سفينةً، فجلست فيها مع اثنين آخرين كانا فيها، ثم بعد فترة بدأت السفينة تدور في دوامة، فظهر من المحيط رأسٌ وقال: هنا في هذا المكان قبر لشيخٍ، فإذا ألقيتم فيه رقعة باسم ذلك الشيخ، فسوف تَخرج السفينة من هذه الدوامة بسلام. فقلت: هذا مستحيل. عندئذ قال لي أحدهما: وأي حرج في ذلك؟ فلنكتب الوريقة ونرميها في

البحر، وبعد الخلاص سنتوب. فقلت: هذا مستحيل، هذا لن يتأتى مني. فأخذ ورقة وأراد أن يكتب بنفسه مستخفيا مني، فرأيت ذلك وأردتُ أن أمزقها، لكنه كان يخفيها عني، فسقطنا من السفينة نتيجة الاشتباك، وأخيرا نجحت في تمزيق تلك الورقة، ثم ركبتُ السفينة، فرأيتُها قد خرجت من تلك الدوامة، والآن بعد هذه الهداية البينة، أعوذ بالله من أن أخشى خلْقه، وأدعو أن تخرج هذه السفينةُ التي أنا فيها الآن من هذه الدوامة، وإني على يقين أنها لتخرجنّ.

إن معارضي خلافتي يقولون بأني صغير السن. وهنا تذكرت واقعة تاريخية؛ حيث يروى أن أهل الكوفة كانوا يضايقون كل والٍ يُرسَل إليهم، وكانوا يعرقلون طريقه، ويُعيدونه بعد رفع الشكاوى ضده. وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: ما دام تغيير الوالي لا يسبب أي مشكلة في الحكم، فلا مانع في تغييره والاستجابةِ لهم، ولكن عندما كادت شرورهم أن تتجاوز الحدود، عيَّن حضرته واليا عليهم يدعى- على الأغلب- ابن أبي ليلى، وكان عمره يومذاك ١٩ عاما فقط. فلما وصل إلى الكوفة بدأ الناس يتبادلون الحديث ويتكلمون حوله فيما بينهم: هل فقدَ عُمرُ صوابَه — نعوذ بالله - إذ قد أرسل شابا واليا؟ فأرادوا أن يسيطروا عليه في أول الأمر، واقترحوا أن يسألوه عن عمره، فحين جلس في البلاط، تقدَّم إليه رجل بمنتهى

الوقار والأدب وقال: يا سيدي كم عمرك؟ فردَّ عليه ابنُ أبي ليلى بمنتهى الحصافة والجدية: أنا أكبر من أسامة بعامين يوم عيَّنه سيدنا رسول الله ﷺ أميرًا على الجيش الإسلامي إلى الشام (وكان عمرُ سيدنا أسامة يوم ذاك ١٧ عاما فقط وكان كبار الصحابة تحت إمرته)، وحين سمع أهل الكوفة هذا الجواب التزموا الصمت، وقالوا فيما بينهم: انتبهوا وحذار أن تشاغبوا في عهده ﷺ، فإنه يعرف كيف يقود الكبار إلى طاعة الصغير إذا أمِّر عليهم. فإنسانٌ مثل سيدنا عمر ﷺ كان قد جُعِل تحت إمرة "أسامة" الشابِّ البالغ من العمر ١٧ عاما فقط، أما أنا فأقول لهؤلاء: إني أكبر حتى من ابن أبي ليلى بسبعة أعوامٍ.

دحض اعتراض آخر

كما يثير هؤلاء اعتراضا واهيًا آخر قد فنَّده الله تعالى قبل ثلاثة عشر قرنًا .. يقولون إن المخاطَب في ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ هو رسولُ الله ﷺ، فكيف تستشهد بهذه الآية وأنت مجرد خليفة؟ على هؤلاء أن يتذكروا أن الذين امتنعوا عن دفع الزكاة لسيدنا أبي بكر ﷺ قد احتجّوا هم الآخرون بأن حكم الزكاة في ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾(التوبة: ١٠٣) كان يخص النبي ﷺ

فقط، وحيث إنه قد توفي فلا يحق لأحد أن يأخذ الزكاة. فقال سيدنا أبو بكر: أنا المخاطب الآن. وعلى شاكلته أنا أردّ على من يعترض عليّ بأنني أنا المخاطب الآن، وإذا كان جوابُ أبي بكر صائبًا - وكان بلا أدنى شك صوابا - فإن ما أقوله هو الآخر صوابٌ بلا ريب، وإذا كان اعتراضكم في محلِّه فسوف تُضطرون إلى شطب أحكام كثيرة من القرآن.

أمر عجيب

الآن أخبركم بأمر عجيب آخر يتبين لكم من خلاله أن لا تناقضَ في أفعال الله ﷻ؛ لقد سمّاني سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام في الإعلان الأخضر: أولو العزم - بأمر من الله وفي ضوء وحيه عز وجل -، ويقول الله في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾، يتبين أني لن أجد بدًّا من العمل في ضوء هذه الآية، فأنّى لي أن أردّها؟

أيُّ خدمة أدّاها؟

ثم هناك اعتراض آخر لهؤلاء حيث يقولون: أيُّ خدمة أدَّاها؟ فجواب هذا موجود فيما كان من أمر أسامة؛ فما هي الخدمات التي كانت لأسامة حتى أُمِّر على كبار الصحابة؟ ألا إنما ينال المرء الخلافةَ بفضل من الله، يهبها لمن يشاء، غير أن فعله هذا لا يكون لغوا عبثا،

ثم أي خدمة قدَّمها سيدنا عمر رضي الله عنه مقابل سيدنا خالد بن الوليد وسيدنا أبو عبيدة بن الجراح وسيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، لكن عمر انتُخِب خليفةً، وهم لم يُنتخَبوا، فمَن أحسنُ من الله تقديرا؟

آية الاستخلاف

لقد تدبرتُ آية الاستخلاف وفُهِّمت ألطف معانيها، وتمتعتُ بالتفكير فيها كثيرا. وفي هذه الآية يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٦) لقد أوردتُ أحد معاني ﴿يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي﴾ في كتيّبي الذي صدر بعنوان "من ذا الذي يقدر على منْع أعمال الله"؟ وهناك معنًى آخر فهَّمَني الله إيَّاه؛ وهو أن هذه الآية تذكر أن الله هو الذي قد وَعدَ، حيث الفاعل لفِعْل "وعدَ" هو الله عز وجل، ثم أكَّد الوعْد بالاستخلاف باللام والنون الموكِّدتين؛ أي إن الله سوف يقوم بهذا الفعل يقينًا، ثم ذكرت الآيةُ أن من المؤكد أنه سيجعلهم متمكنين ويعززُّهم، ثم ذكرتْ أنه هو سوف يبدّل خوفهم بالأمن في كل حال من

الأحوال. فباستخدام اللام والنون للتأكيد ثلاث مرات أفاد الله بأنه هو من سيُنجز كل هذه الأعمال، ويحقق هو وحده كل هذه الوعود، ولن يكون لأحد غيره دخْلٌ فيها، ولِمَ كلُّ ذلك، وما الهدف من ذلك؟ فقد قال: ﴿يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي﴾ أي كل هذه الأمور ستؤدي بهم إلى عبادتي أنا وحدي دون أن يشركوا بي أحدا، مما يعني أن الخليفة إذا تم تعيينُه نتيجةَ مساعي الناس، فسوف يبقى الخليفة ممتنًّا لهم وخاضعًا لسيطرتهم، لكننا نحن سوف ننجز كل شيء بأنفسنا لئلا يقترب الشرك من الخلفاء؛ فحين ينظر الخليفة إلى قدرة أخرى أقامه الله بها، فلن يخطر حتى على باله أنّ لأحد غيرِ الله أيَّ دخل في تعيينه، وهذا سوف يقوده حتمًا إلى عبادته وحدَه دون أن يُشرك به أحدًا، وهذا المعنى كشفَه الله عليَّ، فالخليفة يعيِّنه اللهُ، ولا يقدر على خلعه أو القضاء عليه أحد.

يقول البعض: ألن يظفر المسلمون بالنجاة إذا لم يكن خلفاء؟ وإذا ارتفعت الخلافة في زمن ما، فماذا يكون مصير المسلمين فيه؟ ألا إن هذا انخداع، وأفنّد هذا الانخداع من خلال المثال التالي: انظروا إن القرآن قد فرض على المصلي أن يغسل يديه عندما يتوضأ، أما مَن ليس له يدان أو له يد واحدة فسوف يتمُّ وضوءُه دون غسلهما، لأنه معذور، لكن إذا قدّم هذا المثال شخص سليم اليدين، واحتج

بأنه إذا كان وضوء مبتور اليدين يتم دون غسل اليدين، فلمَ لا يتم وضوئي من دون غسلهما، فهل سترونه على الصواب؟ كلا بل سوف نقول له: إن عذر الأول مقبول، لأنه مبتور اليدين، لكنك سليم اليدين، فلا بد لك من غسل اليدين، وإن لم تغسلهما فإن وضوءك باطل. وبالجواب نفسه أردّ على هؤلاء المعترضين وأقول: إن الملوك الجبابرة قد قضوا في زمن مضى على الخلافة الراشدة، وحالوا بقوة السيف دون استمرارها، فحين رُفعت الخلافة بحد السيف لم يكن لأحد ذنبٌ أنه لا يبايع الخليفة، لأن الخليفة غير موجود أصلاً، أما الآن فأي سيف يمنعنا من إقامة الخلافة؟ وإذا حالت حكومة دون الخلافة فسيكون ذلك فِعْل إلهي، فلن يجد الناس بدًّا من الامتناع. وما لم يظهر عائق أمام الخلافة فمن ذا الذي يقدر على منعها، وما دامت إمكانية الخلافة موجودةً فسوف ينطبق على منكِرها حكم المنكِر لخلافة سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، غير أنه إذا انتهت إمكانية الخلافة فلا ذنب لكم، مثلما إذا لم ينفَّذ حكمُ قطع يد السارق في بلد غير إسلامي، فلا ذنب للحكومة المسلمة لأنها غير مسؤولة عن تنفيذه.

العوائق في تسيير النظام في الوضع الراهن

الآن علينا أن نلاحظ ما هي العوائق التي يواجهها النظامُ في الوقت الراهن، فبعض أعضاء الأنجمن الذين لم يبايعوني يعتبرون رأيهم الأنجمنَ، ويقولون: إن الأنجمن هي الخليفة. وبحذائها شخص يُعلن بأن الله جعله خليفةً، والأحداث تؤيِّده؛ إذ قد أخضع الله له عددا كبيرا من أفراد الجماعة. والآن؛ إذا بقي نظامان فسوف يزيد الافتراق، فلا يمكن أن يكون سيفان في غمد واحد، فأَعمِلوا الفكر وتدبَّروا وأشيروا عليَّ ما الذي يجب عليَّ عملُه، وإنما أقصد من الاستشارة العملَ بالحكم الإلهي ﴿شَاوِرْهُمْ﴾ وإلا، فنظري على التوجيه الإلهي ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وإني على يقين بأنه إذا لم يبقَ معي أحدٌ فإن الله معي، وسوف يهديني وينصرني.

أردُّ مرةً أخرى على التساؤل: ما فائدة المشورة إذا كنت غيرَ مستعد للاستجابة؟ فالأمر بسيط؛ فإن تفكير دماغ واحد محدود، إذ يتولد فيه أفكار محدودة، بينما إذا تدبَّر ألفَا رجلٍ بعضَ آيات القرآن الكريم وقدَّموا المعاني التي توصَّلوا إليها في مجلسٍ، فمِن المُحتمَل أن تكون بعض المعاني خاطئة، كما لا شك في أن أغلبية المعاني ستكون

صائبة وصحيحة، وبالتالي سوف تؤخذ الصحيحةُ وتُترَك الخاطئة، وهنا كذلك سنأخذ من هذه الآراء ما هو مفيد، فالرجل الواحد لا تنشأ في مخيلته الأفكار العديدة، أما إذا فكَّر عدد من الناس في أمر من الأمور، فسوف يجدون منْفذًا بإذن الله.

ثم الهدف من الاستشارة أن لا تضيع قدراتُكم الفكرية، بل لتنشأ عندكم القدرةُ على التفكير في الشؤون الجماعية القومية والتخطيط لها والعمل وفْقها. وهناك أمر آخر؛ وهو أنه بنتيجة مثل هذه المشورات يكتسب الناس الأهليةَ لانتخاب الخليفة في المستقبل، أما إذا لم يستشَرِ الخليفةُ الناسَ؛ فمن ناحية لن يبقى في القوم رجل مفكّر رشيد، ومن ناحية ثانية يمكن أن ينتخب شخص غبي خليفةً، لأنه لم يسنح له العملُ في الشؤون الجماعية، وهذا ما كان يعيب حكوماتِنا السالفة، إذ ما كان أفراد العائلة الملكية يُدعَون للاستشارة، فصارت أدمغتهم نتيجة لذلك غيرَ معتادة على حل المشاكل السياسية المختلفة، فأخذت الحكومة تضعف يوما بعد يوم. فغاية الاستشارة أن تتعود الأدمغة على التفكير، ولكي يتمكنوا من الإمساك بزمام النظام إذا نُودوا لذلك، فعندما ينادَى الناس للاستشارة يتسنى لهم التفكير، مما يؤدي إلى تطور المواهب، وعلاوة على ذلك هناك فائدة أخرى تكمن في مثل هذه المشْورات؛ وهي أن

الإنسان يجد سهولة في التنازل عن رأيه، ولا يتولد في الطبائع أي عناد وتعصب.

والمشاكل التي نواجهها اليوم هي من نوع أننا نتلقى الرسائل من خارج قاديان لطلب الدعاة، فالآن من ذا الذي يستطيع إرسال الموظَّفين للأنجمن الذي لا تخضع للخليفة؟ كان سيدُنا الخليفة الأول ﵁ يرسلهم، وكانوا يُعتبَرون وكأنهم على رأس عملهم، أما أنا؛ فعددُ العاملين عندي قليل، ولهذا تطرأ أمثال هذه المشاكل. ومن هذه المشاكل أيضًا كأن يأتي شخص ويطلب النقود أو المساعدة كما طلبت الجماعةُ في "مونغير" المساعدة مؤخرًا بخصوص نزاع حول المسجد، والجماعة هناك ضعيفة. ولقد رأيت أن حضرته ؏ كان حذرا جدا في أمور المساجد، كما كان حضرة الخليفة الأول أيضًا يبذل الجهود في ذلك، فكانت هناك قضيةٌ حول المسجد في "كبور تهله" فقال حضرته ؏: إذا كنتُ أنا صادقا، فسوف نظفر بالمسجد حتما. فكان يحتاط كثيرا حول المسجد. لذا، وفي هذا الوضع الحرج؛ ما كنت أحب الامتناع عن مساعدتهم، فلم أجدْ بُدًّا من إرسال المال لهم. أو ما الذي يجب عملُه إذا ظهرت فتنة أخرى ولم يستجب لأمري أحد الفريقين؟ كما من المحتمل أن تحدث مشاكل أخرى في المستقبل أيضا بسبب الخلافات الراهنة. إن آمالي

في ربي كثيرة، وإني موقن بأنه سيُري قدرته بشكل إعجازي، لكننا نعيش في عالم الأسباب هذا، فلا بد أن أتخذ الوسائل.

إن كل ما سأقوم به، فسأنجزه بتقوى الله، ولن أكترث لما يقوله زيدٌ أو بكر، وأقول مكررا: إني إذا كنت أعمل خوفًا من الله ومؤمنا بالله، فإن ما أقوم به الآن وما سأقوم به مستقبلا، إنما هو بِنيِّة صالحة، أما إذا كنتُ -والعياذ بالله - لا أخاف الله، فمن أنتم حتى أخافكم؟! لهذا أستشيركم حول طريقة ممكنة للقضاء على هذه المشاكل؟

يقول الناس: إن الخليفة الأول لم يأمُرِ الأنجمن قط، لكنني أقول: كنتُ أنا السكرتير العامَّ، وحسب معلوماتي؛ يندر أن صدر جدول الأعمال بدون تصريحٍ " أي أمر من خليفة المسيح الموعود عليه السلام"، وهذه الأحداث مسجلة بكثرة، وقرارات الأنجمن وسجلاتها تحمل خير شهادة على ذلك (هنا قام المنشي "محمد نصيب" الكاتب في مكتب الأمين العام، وصرَّح بأعلى صوته: "أشهد على أنه تمام الصواب") فمثل هذه الاعتراضات التي تُكذِّبها الأحداثُ واهيةٌ جوفاء. وملخص القول إن بعض المشاكل قد ظهرت وأرى أن بعض الضرورات ستفرض نفسها مستقبلا، فلذا رأيت من المناسب

أن تفكروا فيها. وقد كتبتُ بعض المقترحات حول هذه النـــزاعات الراهنة، فأمعنوا النظر فيها، ثم زوِّدوني بمقترحاتكم فيما بعد، فكِّروا فيها في غيابي لكي يستطيع كل واحد أن يقدِّم رأيَه بحُرِّيَّة، وهي كالتالي:

أولاً: ما هو أحسن طريق لتسوية الخلاف بين الخليفة والأنجمن؟ ومرادي من الأنجمن: أولئك الأعضاء الذين لم يبايعوا، لأهم يُسَمُّون أنفسهم "الأنجمن" فلْيُقدِّم المبايعون حصرًا مقترحاهم.

ثانيا: إن الذين بايَعوني أوصيهم بأن يرسلوا جميع تبرعاهم إليَّ، واقترحتُ هذا بناءً على رؤيا رأيتُها في ٨ مارس/ آذار ١٩٠٧م، وقد سجَّلها حضرة المسيح الموعود عليه السلام بيده في دفتر إلهاماته، حيث إن إلهاماته قبلها وبعدها، والدفتر موجود، كانت رؤيا طويلة؛ رأيتُ فيها أنه قد وردني طردٌ بريدي باسمي من "محمد السراج" مكتوب عليه "محمود أحمد عافاه الله"، وحين فُتح صار وعاءً مليئًا بالروبيات، وقال قائل: خذْ بعضها لنفسك، وقدِّمْ شيئا منها لحضرته، وقدِّم شيئا منها للأنجمن. وكتب حضرتُه عليه السلام بعدها: يقول محمود "أُرِيتني في الكشف، وفُهِّمت معنى السراج بأنه شمس، فمعنى "محمد السراج" إذن هو أن الطرد من "محمد" الذي هو الشمس نفسه."

فهذه الرؤيا منذ سبع سنين، وهي مسجلة بيد حضرته عليه السلام، الأمر الذي يَستشفّ منه هو جليًّا أنه سيأتي يوم يتسلم الأنجمن المال عن طريقي، وأن ما يرِدُنا إنّما هو من فضل سيدنا محمد ﷺ وحدَه، وكل ما يأتي من المال، فإن سيدنا محمدا ﷺ هو مَن يُرسله، ويبدو المرادُ من الدفع لحضرته عليه السلام أن يُنفَق على نشْرِ الجماعة، هكذا فسَّر الصحابةُ مثلَ هذه الآيات للقرآن الكريم. هذه رؤيا صادقة؛ وإلاَّ، هل كنت قد اخترعت هذه الأحداث من عندي قبل ستة أعوام وحقّقها الله الآن؟ نعوذ بالله من ذلك. فيجب أن يُرسِل المبايعون كل أنواع التبرعات إليّ.

ثالثا: ما دام القرارُ بخصوص الأنجمن لا يَصدر قطْعًا، فلترسَل أموال الزكاة والتبرعات لنشر الإسلام إليّ، وسوف تُنفَق على نفقات الوعاظ وبعض الضرورات الأخرى المؤقتة المتعلقة بنشر الإسلام أو لها علاقة بمصارف الزكاة.

رابعا: يجب أن يضم مجلسُ الشورى الممثلين من الجماعة كلها، فهذه السُّنّة كانت متّبعة في زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، فما السبب في أن يؤخذ المالُ من الجميع ولا يُستشاروا عند إنفاقه؟ ويمكن أن لا تكون حاجة الاستشارة في بعض الأمور المعينة؛ وإلا

يجب أن يؤخَذ رأيُ الجماعة كلها، وأريد أن أستشيركم كيف تتم الاستشارة؟

خامسا: حاليًا نحن بحاجة إلى عضوين إضافيين، لأنه أحيانا تطرأ مشاكل مستعصية، وبسبب الاختلاف، يحتمل أن تزداد هذه المشاكل، وأحيانا أكون مضطرا لمغادرة قاديان، وفي غيابي تظهر هذه المشاكل، لذا؛ ثمة حاجة إلى عضوين إضافيين، أو ثلاثة، ويجب أن يكونا من العلماء.

سادسا: يجب على أصحابنا أن يذهبوا حيثما توجد الفتنة، وذلك لقمعها ونصْح الآخرين، وينبغي أن لا يتَّكلوا على عقولهم وعلومهم في سبيل ذلك، بل ينبغي أن يقدِّموا فضل الله وتوفيقَه ولْيُكثِروا الدعاءَ. لذلك تجوَّلوا في مناطقكم، وحاوِلوا رفعَ الخلاف ودفْنَ الفتنة، ولا تنقطعوا عن إطلاعي على مستجدات الأمور.

هذه الأمور يجب أن تفكِّروا فيها وتدرسوها، ويجب أن تُفصَل بوجود المولوي السيد محمد أحسن، فقد كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وخليفته الأول يحترمانه، وهو أهلٌ للاحترام بسبب علمه وفضله وخدماته للجماعة، وسوف يرأس جلسة الشورى هذه، أنا لن أحضرها، لكي يستطيع كلُ واحد أن يقدم رأيه بحريَّة. وسجِّلوا القرارات التي تتخذونها بعد التشاور والنقاش كتابةً، وارفعوها إليَّ،

وسوف ينفّذ ما يُلقي الله في قلبي بعد الدعاء، فلا تتوقعوا أبدًا – عند التفكير في أمر ما، أو تقديم الرأي فيه – أن يُستجاب لكم، بل قدِّموا الرأي بصدق القلب ابتغاء مرضاة الله، فسوف تُثابون على ذلك حتى لو كان رأيكم خاطئا، لكن الذي يريد أن يُقبَل رأيُه لا محالة، فلا ثواب له.

وعلاوة على آرائي هذه؛ أمعِنوا النظر في آراء حضرة النواب.[3] كما كان عند الشيخ يعقوب علي أيضًا اقتراحات سمحتُ له بتقديم ثلاثة منها فقط، ففكِّروا فيها أيضًا.

ثم أقول مكررا: إنكم تعرفون مكانة المولوي المحترم لعلمه ومركزه في الجماعة، فكان حضرة المسيح الموعود عليه السلام يحترمه، فكل من أراد أن يتكلم فليأخذ الإذن منه أولاً، وعند انتهائه من تقديم الرأي، فليأتِ الثاني، وبعده الثالث وهكذا. وحذارِ أن يقوم أكثر من واحد في نفس الوقت. وليتكلمْ مَن يأمره المولوي، ولْيأخذ حضرةُ النواب أو المنشي "فَرْزَنْد عليّ" مسؤوليةَ الأمين لهذه الجلسة، ولْيكُتبا معًا، ويجب أن يُقرَأ القرارُ النهائي بعد نقاشه على الحضور، وإذا كان هناك اقتراحان حول مسألةٍ ما، فلْيسجّلا كلاهما.

[3] المراد منه على الأغلب هو نواب محمد علي خان صهرُ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. (المترجم)

والآن اُدعوا جميعًا، وأنا الآخر أدعو؛ لأن الأصحاب سوف يتناولون الطعام بعد هذا، فليقدم الطعامَ أهلُ قاديان، ويجب أن لا يكون هناك أيُّ إزعاجٍ لأحدٍ، يجب أن يكون الماء متوافرًا، وادعوا أنتم، ولْيدعُ الضيوفُ أيضًا؛ لأن دعاءَ المسافر مستجابٌ، وما سوف ننجزه بعد الدعاء والمشورة، فسيكون من الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.